

# الخليفة المعز لدين الله

باني القاهرة ومنتشيء الجامع الازهر

ما كان مرتدا ولا نصرانيا

ولكن كان حنيفا مساما

الاسلام دين الدولة  
الدستور المصري ١٣٨

ان الدين عند الله الاسلام  
قرآن كريم

بقلم

الصحفي القريم الاستاذ (ح)

مكتشف السيدة المرقسية على المسامين

وهو كتاب

يشتمل على رد فرية مرقس سمبكة باشا التي دسها في تقويم الحكومة سنة ١٩٣١  
بتعميد الخليفة المعز لدين الله في كنيسة ابي سيفين ودفنه بها وتاريخ الخليفة  
واقوال كبار الكتاب ومباحث الصحف في هذا الموضوع واعتراف مرقس  
سمبكة باشا بتكذيب نفسه اضطراراً

# الخليفة المفضل لمعين الله

بأنى القاهرة ومنشئ الجامع الازهر

ما طاب مرثرا ولا نصرانيا

ولكن كان خنيفا مسالما

بقلم

الصحفى القديم (ح)

مكتشف السيدة المرقسية على الساميين

وهو كتاب

يشتمل على رد فرية مرقس سميكه باشا التي دسها في تقويم الحكومة سنة ١٩٣١  
بتعميد الخليفة المعز لدين الله فى كنيسة ابي سيفين وتاريخ الخليفة واقوال كبار  
الكتاب ومباحث الصحف فى هذا الموضوع واعتراف مرقس سميكه باشا  
بتكذيب نفسه

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد المبعوث لتمام مكارم الاخلاق. ونشر العدل والحرية في الآفاق. وأي عدل وأية حرية أكبر من قوله تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »

صدق الله العظيم

أما بعد: فما أكبر خسارة أولئك الذين يشغلون انفسهم بتكمير الصفاء  
الانساني في محاولتهم تغيير عقائد الناس واديانهم!

ولو كانوا من أهل الخير حقيقة كما يتظاهرون لعرفوا ان هداية البشر الى  
المنافع وتنوير البصائر ورفع ما يستر سر الحياة عن عقولهم كل ذلك أعود بالنفع  
وأولى من تلك المحاولة التي لا طائل تحتها اليوم وقد طغى سيل المدنية حتى ا  
كتسح أمامه أغراض أولئك المحاولين

الدين لله والقلب مقر الدين وكل ما كان القلب مقراً له فمحال اقتلعه منه  
لأنه يسري مع الدم في جريان دورته وهيئات أن يكون للجدل اليه من سبيل  
من أجل ذلك ينشأ النزاع الديني فتقوم المعارك على حواشيه ، فتغشى على  
العقل فلا يعود ينظر الى النتائج من خير أو شر

فالذين افتتنوا بانارة هذه المنازعات انما هم قوم أعداء للسلام أعداء للمحبة  
الانسانية أعداء للراحة والطائفة

ومن أظلم ممن دعا الى الفتن يستثيرها بما يخرج به الناس فيما اطأنت له نفوسهم  
وتواضعت عليه رغباتهم فما كانوا إلا شياطين يوسوسون في الصدور يوغرونها  
على الغير

فما بالك بمن يقتحمون القبور على الاموات الهادئين في مراقدة الأبدية لينزعوا  
عن رءوس سمعهم أشرف تيجان طالما فخروا بها في حياتهم وكانت زادهم الى  
الله في دار الخلود

وصلت الى يدي نسخة من التقويم الذي أصدرته الحكومة المصرية عن  
عام ١٩٣١ بعد ان مضى نحو ثلثي العام وقد غم علي الأمر فلم أعرف ما هو سبب  
هذا التأخير في اصداره ثم تضمينه إفكاً كبيراً

نصنحت التقوم فيغتنى فيه أمر ذو بال وهو ما أتى به المدعو مرقص سميكة باشا من أن الخليفة العالوي الفاطمي أمير المؤمنين المعز لدين الله فاتح مصر وباني القاهرة ومنشئ الجامع الأزهر تعمد بمعمودية الكنيسة أي ارتد عن الدين الاسلامي ( والعباذ بالله ) ثم مات نصرانياً ودفن في كنيسة أبي سفين بمصر القديمة

بفتني هذا الأمر فرجعت الى ذا كرتي استحثها لترشدني الى هذه الفاجعة فما ارشدتني الا الى أن هذا الخليفة هو أقرب الخلفاء الى بيت نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم ومهما قال المتخاصمون على الملك في اعدائهم فلم يجزأ أحد على أن ينسب الى ذلك الخليفة العظيم مثل هذه الفرية الكبرى وهو أجدر من يستطيع أن يقول : تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

رجعت الى كثير من الاسفار التاريخية الموثوق باصحابها اقلها فما وجدت لهذه الفرية عينا ولا أثراً . و خلاصة جميع الروايات تقول في تفصيل للوقائع عن هذا الخليفة العظيم انه :

علم من اعلام الاسلام وقاتح عظيم في الالوج الاعلى بين غزاته المسلمين ظهر في بلاد الموحدين ظهور الكوكب في أفق السماء يضيء المشرقين . هذا هو الخليفة المعز لدين الله أبو تميم معد المهور له بولاية العهد من والده الخليفة ( المنصور بالله أبو الطاهر اسماعيل بن القائم بأمر الله أبي القاسم محمد سعيد الله العالوي الحسيني المنوفى في شهر شوال من سنة ٣٤١ هجرية في مدينة المنصورية عاصمة بلاد المغرب في ذلك العهد والمدفون في قصره بها )

والمعز لدين الله أول الخلفاء العالويين في مصر كان له غرام بعلم النجوم فكان يقرب المنجمين اليه وكان عالماً فاضلاً جواداً ذا شجاعة نادرة

فلما افضى اليه الامر بعد وفاة أبيه أقام في تديره الى السابع من ذي الحجة سنة ٣٤٥ ثم اذن للناس فدخلوا اليه وسلّموا عليه بالخلافة وعمره يومئذ أربعاً وعشرين سنة وقد أخذ عن أبيه حسن السيرة فكان عادلاً في رعيته منصفاً لها ومن الدلائل على حكمته ورجاحة عقله انه لما دخلت سنة ٣٤٦ وهو حديث العهد بالخلافة نظر في سيرة من تقدمه من الملوك والخلفاء فرآى أن جبل « أوراس » هو الملعب الذي يتخذة كل خارج على ولى الامر فيها عسكرياً وأصعده الجبل فجال فيه حتى هاب المعز كل

من في الجبل وأتوا اليه وبايعوه على الطاعة والولاء رهبا من بطشه ورجبا في رفقده  
واحسانه

أما جبل أوراس هذا فكان فيه أشد القبائل مراسا واعصاهم شكيمة ومنهم  
بنو كملان ومليله وهواره وبالرغم من انهم لم يدخلوا في طاعة ملك ولا خليفة من قبل  
فقد أطاعوا المزم وذاتوا له مع سائر من في الجبل

وبما يدل على حسن سيرته انه أمر نوابه ان يوزعوا الاحسان على البربر فجاؤه  
من كل فجج طائعين .

فلما استعبد الناس باحسانه وحسن منطق لسانه عظم أمره وكبر شأنه على حداثة  
سنه حتى أن أخاه محمد بن خزر الزناتي جاءه مع غيره مستأمنين فلم يبخل عليه بأمانه  
مع ما كان بينهما وزاد على ما أمل منه ان أحسن اليه

فلما عرف ان الأمر قد انتهى اليه وان ملكه قد استنوى على الجودي بدأ يسير  
الجيش لفتح الامصار كما كان الشأن في تلك العصور للغزاة والفاتحين وكان قد  
أخذ أبا الحسن جوهر الصقلي من وزرائه وقواده لعظم مكانته عنده ففي شهر صفر سيره  
في عسكر كثيف الى اقاصي المغرب وصحبه بمشاهير القواد ومنهم زيري بن مناد  
الصنهاجي .

سار هذا الجيش المزمي حتى وصل الى « تاهرت » فحضر اليه يعلى بن محمد  
الزناتي فأكرمه وأحسن اليه ولكنه انتقض بعد ذلك فأمر جوهر بالقبض عليه فنار  
أصحابه فقاتلهم حتى هزمهم واقتنى أثرهم حتى وصل الى مدينة « افكان » فاقتحمها  
بالسيف واستصفي قصور يعلى وأخذ ولده وكان صبيا كما أخذ ما في افكان وأمر  
بهدمها واحراقها بالنار على طريقة الغزاة في ذلك العهد وذلك في شهر جمادى الآخرة  
من تلك السنة

ولما تم له هذا النصر سار الى فاس وكان بها صاحبها احمد بن بكر فأغلق  
أبوابها وتحصن خلفها فنازلها جوهر وقاتلها مدة فلم تفتح له لشدة تحصينها وقوة معاقبها  
ثم جاء الأمراء الفاطميون من أقاصي السوس الى جوهر يحملون اليه الهدايا  
والتحف . فأشاروا عليه بفك الحصار عن فاس والتوجه بجيشه الى سجلماسة وكان

صاحبها محمد بن واسول قد لقب نفسه بالشاكر لله ويخاطب بأمر المؤمنين وضرب  
التقود باسمه واستمرت له هذه الحال ستة عشر عاما  
فلما قدم اليه جوهر بجيوشه ترك المدينة وهرب ولكنه قبض عليه في الطريق  
وجيء به الى جوهر اسيراً  
وما زال جوهر في فتوحه حتى انتهى الى بحر المحيط الاطلانطي وقد دانت  
له تلك البلاد ثم عاد الى فاس فضيق عليها الحصار  
ومن دلائل اخلاصه للمعز انه لما وصل الى شاطئ المحيط أمر باصطياد الاسماك  
فاصطادوا له ما أراد ووضع السمك حياً في أوعية ماء من البحر وأمر بها فأرسلها  
الى المعز ليندخل على نفسه السرور بأكل طعام شهى من محصول البلاد التي  
دانت له فتحاً

### فتح فاس

بعد ان تم للقائد جوهر فتح البلاد الى شاطئ البحر المحيط عاد الى مدينة فاس  
في سنة ٣٤٧ هجرية فقاتلها مدة طويلة فقام زيري بن مناد فاختر من قومه رجلاً  
لهم شجاعة معروفة وأمرهم أن يأخذوا السلايم وقصد الى المدينة فصعدوا الى  
السور الادنى في السلايم وأهل فاس آمنون فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه  
من الحراس ونزلوا الى السور الثاني وفتحوا الابواب واشعوا المشاعل وضربوا  
الطبول وكانت العلامة بين زيري وجوهر فلما سمع جوهر الطبول ركب في العساكر  
فدخل فاساً فاتحاً

أما صاحب فاس فانه استخفى ومضى عليه يومان ثم التي القبض عليه وأضيف  
الى صاحب سجلماسة وارسلها جوهر كليهما اسير الى المعز في بلده المهديّة وكل  
منهما في قفص من حديد

أما امارّة تاهرت فقد اعطاها جوهر الى زيري جزاء اخلاصه للمعز ولدولته

### فتح مصر

مضى نحو أحد عشر عاما علا فيها نجم المعز لدين الله وقد ارتفع سلطانه  
وقويت شوكته بما تأثّل له من مجد وعظمة

وفي سنة ٣٥٨ سبر الى مصر القائد جوهر الذي اسلفنا ذكره في فتح قاس وجوهر كان قبل ذلك غلاما من بني الروم عند المنصور بالله والد المعز فهو ربيب نعمة ذلك البيت العظيم

وكان تحت إمرة جوهر جيش كثيف للاستيلاء على مصر ، والسبب في ذلك انه لما مات كافور الاخشيدى صاحب مصر اختلفت القلوب فيها ووقع بها غلاء شديد حتى بلغ ثمن الخبز كل رطل بدرهمين والحنطة كل وية بدينار وسدس دینار مصري

فلما بلغت تلك الحال السيئة مسامع المعز لدين الله وهو في بلاد المغرب سير جوهر أ اليها لانقاذها من محتتها وقد هون عليه الأمر طمعه بامتلاكها وكانت شهرة هذا القائد قد طبقت الآفاق

فلما وصل خبر قدومه الى العساكر الاخشيدية بمصر وحالتهم وحالة البلاد كما وصفنا تعلقوا باذيال الهرب جميعا قبل وصول الجيوش اليهم

دخل جوهر مصر في السابع عشر من شهر شعبان سنة ٣٥٨ فدعا اهله لاطاعة الخليفة المعز لدين الله الفاطمي وكان بدء دعوته في شوال

أما الذي جهر بالدعوة على منبر الجامع العتيق ( جامع عمرو ) فهو الخطيب أبو محمد عبد الله بن الحسين الشمشاطى

وفي جمادى الاولى من سنة ٣٥٩ سار جوهر بنفسه الى جامع ابن طولون وأمر المؤذن فأذن « حي على خير العمل » وهو أول ما أذن به في مصر ثم امتد الأذان بعد ذلك الى الجامع العتيق وجهر في الصلاة بيسم الله الرحمن الرحيم

### بناء القاهرة

ولما استقر جوهر بمصر شرع في تخطيط القاهرة وبناء الجامع الازهر واعماله كثيرة في هذا الباب غير منكرة

### استيلاء المعز لدين الله على بلاد الشام

#### فتح الرملة

لما استقر القائد جوهر بمصر وثبتت قدمه فيها جهز لجعفر بن فلاح الكتامى

جمعا كبيرا ووجهه به الى الشام فبلغ الرملة في فلسطين في ذي الحجة من هذه السنة  
وكان بها محمد ابو الحسن بن عبد الله بن طنجح فجرت بينهما حروب انتهت بانتصار  
جعفر بن فلاح وأسر بن طنجح وغيره من القواد فسيروهم الى جوهر بمصر وهذا بعث  
بهم الى المعز بافريقيا

دخل جعفر الرملة فأبحا وقتل كل من قاومه، أما المسلمون فإنه أمنهم على أموالهم  
وأرواحهم مقابل دفع الخراج  
طبرية مسالمة

وسار جعفر الى طبرية فوجد صاحبها ابن الملهم قد دعا الى طاعة المعز لدين الله  
فتركه على حاله راضيا منه بإقامة هذه الاسعوة المعزية

### دمشق تقاثل

ما كاد جعفر يصل الى دمشق حتى قابله أهلها مقاتلين ولكنه تغلب عليهم  
وأعمل سيفه فيهم حتى ظفر بهم مغلوبين على أمرهم وأمر جنوده بنهب البلد جزاء  
مقاومة أهلها ولكن قريبا منهم أظهروا الطاعة فكف عنهم شر الجنود  
ثم أمر بإقامة الخطبة في الجامع الاموي باسم الخليفة المعز لدين الله يوم الجمعة  
من أيام خلت من شهر المحرم سنة ٣٥٩

وبذلك قطعت الخطبة باسم الدولة العباسية في عاصمة الامويين

### الفتنة

وكان في البلد رجل جليل القدر اسمه الشريف أبو القاسم بن أبي يعلى الهاشمي  
وهو رجل له خطر في المدينة وجيليل قدر وحكمه نافذ في أهلها فجمع أحداث البلد  
وكل من ينجح للفتنة ثم اتفقوا على أمر يبيتونه لجعفر ذلك أنه في يوم الجمعة التالية  
سار الى الجامع وأبطل الخطبة للمعز لدين الله وأعاد الخطبة باسم المطيع لله ثم لبس  
السواد علامة على الحزن وعاد الى بيته

فلما وصل الخبر الى جعفر أمر بقتاله هو ومن معه فالتحم الفريقان في ملحمة  
حامية الوطيس وقد أظهر أهل دمشق شجاعة وصبراً على القتال حتى آخر النهار فلما  
كان في الغد تراحف الفريقان واستأنفوا القتال فكثرت القتل في الفريقين غير أن

جنود جعفر تغلبت على أهل دمشق فانهزموا بين أيديهم حتى وصلوا إلى أبواب دمشق حيث التقوا بالشريف ابن أبي يعلى وكان يحرض دمشق على القتال ويأمرهم بالصبر على حملات جنود المغاربة المتواصلة

غير أن تلك المقاومة لم تجهد نفعا أمام تلك القوى التي تخرز أزماتها الجبال وصل جنود جعفر إلى المدينة فاختارها فاقبضوا واستولوا على قصر الحجاج وما فيه من متاع وهرب الشريف بن أبي يعلى ومن معه ممن اشتركوا في الفتنة فأصبح أهل دمشق حيارى وليس بينهم من يرجعون إلى رأيه ولا بين أيديهم من استعد للقتال عنهم

ولكن استخفاء الشريف بن أبي يعلى عن عيون الدمشقيين ما كان إلا للوصول إلى جعفر بن الفلاح ليكلمه في الصالح فقبل منه وأعادته إلى المدينة لتهدئة الأحوال وتسكين الناس وتطيب قلوبهم وأن لا ينالهم من القائد الأجليل عاد الشريف ابن أبي يعلى إلى الدمشقيين وأباضهم ما فعل وطلب إلى العامة والجنود أن يلازموا منازلهم وأن لا يخرجوا منها إلى أن يدخلها جعفر وجنوده ويطوف فيها ويعود إلى مسكره فمعلوا ذلك امثالاً للامر

فلما رأى عسكر جعفر أنفسهم في البلاد ظافرين أسكرتهم شجرة النصر فركبوا رؤوسهم وحلهم الطليش على أن يعيشوا في البلاد فساداً فثاروا فيها وحمادوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فقتلوا منهم جماعة وكان الطريق قد أتى على عدة كبيرة من الدور لا اشتغال القوم بالحرب عن اطفاء النار ثم شرعوا في تحصين المدينة حيث حفروا الخنادق صيانة لها من المهاجمين واستعدوا للحرب والسكناح

فأمسك المغاربة عن الهجوم عليهم فمشوا الدمشقيون إلى الشريف فطلبوا إليه أن يسعى فيما يعود بصلاح الحال فهدأ روعهم وانظرهم إلى يوم الخميس بعده وهو الواقع في ١٦ ذي الحجة سنة ٣٥٩

وفي يوم الجمعة نال به دخل جعفر بن فلاح المدينة فصلى مع الناس وسكنهم وطيب خواطهم وطأن قلوبهم والتي القبض على جماعة من الأحداث الذين عزبت إليهم الفتنة . وفي المحرم قبض على الشريف بن أبي القاسم بن أبي يعلى الهاشمي حيث وصل إلى سمعه كل ما فعل ثم سيره إلى مصر . وبذلك استقر الأمر في دمشق

## قروص المعز لدين الله

الى مصر

رأى المعز لدين الله بعد ان تم لجيوشه فتح مصر والشام وارتفاع شأن دولته ان يقدم الى مصر وكان ذلك في سنة ٣٦١  
قام من أفريقيا في أواخر شوال وهي أول رحلة من المنصورية التي بها قبر أبيه المنصور ثم نزل في سردانية وهي قرية قريبة من القيروان وبها انتظر رحاله وعمله وأهل بيته فجاؤا اليه ومعهم كل متاعه الذي كان بالقصر والأموال التي في الخزائن وكانت شيئاً كثيراً ولكنة الدنانير وتعذر نقلها فغير نقص في الطريق سبكت سبائكها على هيئة أحجار الطواحين مستديرة ومفرغة من الوسط ووضعت على الجمال كل اثنين فوق ظهر جمل

ولما تم للمعز بين يديه كل متاعه في سردانية سبر ركبته بعد ان عهد ببلاد أفريقيا الى يوسف بلكين بن زيري مناد الصنهاجي الحميري واستعمله عليها في غيبته ثم جعل على جزيرة صقلية حسن بن علي بن أبي الحسين . ولم يمين أحداً على اجدايا ولا على سرت

وجعل على طرابلس عبد الله بن أنجلف السكناني وكان أسيراً عنده ثم عهد بحماية أموال أفريقيا الى زيادة الله بن القديم

وعهد بالحراج الى عبد الله الخراساني وحسين بن خلف الموصلي وأمرهما بالانقياد الى يوسف بن زيري

وبعد ان رتب أمور علي هذا النمط وهو بسر دانية لمدة أربعة أشهر رحل عنها وفي ركابه يوسف بلكين وهو يوصيه بما يفعله في ادارة الحكم وغير ذلك من اقامة العدل بين الناس ثم أمره بالرجوع الي عمله

وما زال المعز سائراً بمجيوشه حتى دخل طرابلس الغرب وهناك تخلف عنه جماعة من الجنود الي الجبال فتركهم ثم سار الي برقة وأقام بها فترة ثم رحل المعز لدين الله من برقة الى الاسكندرية فدخلها في أواخر شعبان سنة ٣٦٢

وقد تلقاه أهل الاسكندرية وأعيانها فلقبهم واكرمهم وأحسن اليهم ثم سار الى القاهرة فدخلها في الخامس من شهر رمضان سنة ٣٩٢ وأنزل عساكره في مدينتي مصر القديمة والقاهرة الجديدة التي اختطها جوهر القائد فضاقتنا عن العساكر فضرب خياما في الفضاء نزلت بها بقية العساكر ولما دخل المعز لدين الله القصر الذي بناه له جوهر وسار في غرفه نخر ساجداً لله وصلّى ركعتين شكراً له تعالى على ما هيا له في مصر من ملكها وتبوء عرشها . وهذا ما يفعله المسلم الذي يؤمن بالله واليوم الآخر

### المعز لم يرحم القرامطة بحساب القرامطة

وبعد ان استقر المعز لدين الله في مصر قدم من الاحساء الى الديار المصرية الحسن بن احمد القرامطي لمجاصرتها والاستيلاء عليها واباحتها لاتباعه القرامطة على طريقتهم (١)

فلما سمع المعز لدين الله بتقدم القرامطة الى مصر وكانوا اذا قصدوا بلداً لا يرحمون عنه حتى يمتلكوه ويبيحوه لاتباعهم فكاتب المعز كتابا الى الحسن بن احمد كبير القرامطة يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته بنى فاطمة الزهراء وانه اذا كان يدعو حقاً لشيعته على بن أبي طالب فهو جلدته وتكون الدعوة واحدة لان القرامطة يتدعون في قيامتهم بالدعوة له ولا بائنه من قبله ثم وعظه وختم كتابه بالتهديد لكل من يقدم الي مصر معاديا

(١) ابتداء أمر القرامطة في سنة ٢٨٦ هجرية بظهور رجل يعرف بأبي سعيد الجنابي في البحرين وقد اجتمع اليه جماعة من الاعراب مع اتباعه فقوى بهم أمره ولما آانس من نفسه القوة فتك بمن حوله من أهل القرى ثم سار الى القطيف، وشرح حال هذه الطائفة يكاد يشابه من الوجهة الاجتماعية حال البلاشفة اذ بدلا من ظهور لينين في روسيا ظهر يحيى بن المهدي ثم سار الى القطيف فنزل على رجل يعرف باسم علي بن المعلى بن حمدان مولى الزياديين وكان يغالي في التشيع لعلي ابن أبي طالب فأظهر له يحيى انه رسول المهدي المنتظر وانه خرج الى الشيعة في البلاد يدعوهم الى أمره لأن وقت ظهوره قد قرب

فلا وصل كتاب المهر الى القرمطى اُجاب عليه بقوله  
وصل كتابك الذي قل تحصيله وكثر تفضيله ونحن سائرون اليك على  
أثره والسلام

ثم أرسل الى الشيعة في بلاد البحرين وبينهم أبو سعيد الجنابي الذي اشرنا اليه آنفا  
وكانت مهنته في ما بين النهرين ان يبيع الطعام للناس ويكتب للتجار ويحسب لهم ما باعوا به  
ولما صدق علي بن المعلي هذه الدعوى أرسل الى الشيعة من أهل القطيف يجمعهم  
ليحيي بن المهدي وكان قد غاب مدة عن القطيف وعاد معه كتاب قال انه من المهدي  
يقول فيه كاتبه انه هو المهدي المنتظر في آخر الزمان

وقد بعث بهذا الكتاب الى شيعة وان يحيي رسوله قد عرفه بمسارعتهم الى  
أمر المهدي فليدفع كل رجل منهم الى رسوله يحيي بن المهدي ستة دنانير وثلاثي  
دينار من أموالهم فدفعوا اليه . وبذلك انتشرت الدعوى . وبعد ذلك غاب يحيي  
مدة ثم عاد الى القوم ومعه كتاب يزعم انه من المهدي يقول فيه ادفنوا اليه خمس  
أموالكم فدفعوا اليه الخمس

أما يحيي هذا فكان يتردد في قبائل قيس ويقدم اليهم كتابا يزعم أنها من  
المهدي وانه ظاهر ولتكن شيعة على أهمية اللقاء

أما اباحية القرامطة فقد روى عنها رواية يقال له ابراهيم الصايغ قال أن يحيي  
ابن المهدي هذا نزل على أبي سعيد الجنابي بعد غيبة فلما أكلوا الطعام خرج أبو سعيد  
من بيته بعد ان أوصى امرأته ببيع خيراً وان لا تمتعه نفسها ان أرادها ثم  
بات ليلته خارج بيته حتى ينفرد يحيي وحده ويخلو بزوجة أبي سعيد الجنابي

وقد انتهى خبر هذا الحادث الى الوالي فقبض على يحيي بن المهدي فضربه  
وحلق رأسه ولحيته نكالا به ومسحطاً على تعاليمه الاباحية

أما أبو سعيد فهرب الى جنابا بلده مستخفياً حتى اجتمع بيه يحيي الذي صار  
الى قبائل بني كلاب وعقيل والحريس وقد عظم أمر أبي سعيد بعد ذلك  
وكانت له جيوش في البحرين واغاروا على بلاد هجر حتى اقتربوا من البصرة  
وما زالوا يشنون الغارات على البلاد والمدائن في فارس

ولقد عظم شأن القرامطة حتى هددوا الممالك وأذلوا الملوك ودوخوا الامصار

ولم يكف الخطاب يصل الى يد المعز حتى كانت جيوش القرامطة مخيمة في عين شمس فنشب القتال حيث تسرب القرامطة الى داخلية البلاد وكثرت جموعهم فصاروا يعيشون في ارضه عصر فساداً على طريقهم وهي ان كبير القرامطة اذا ضرب خيامه في ناحية معسكراً اجتمع عليه خلق كثير من العرب والعجم ليشاركوا القرامطة في النهب والسلب والاستمتاع بالنساء ويتبادلها فيما بينهم

فلما خيموا بين شمس كما أسلفنا كان ضمن من اجتمع بهم من عرب الشام حسان الجراح الطائي أمير العرب بالشام ومعه جمع عظيم فلما رأى المعز كثرة جموع القرامطة استعظم الامر وأهمه وتريث في اخراج جيوش مصر للقتال فبدأ بهم ثم أخذ يستشير أهل الرأي من الناصحين له فاشاروا عليه بالسعي بتفريق كلمتهم والقاء الخلف بينهم وان ذلك يكون عن طريق ابن الجراح

فمكتب المعز اليه واسمائه وبذل له مائة ألف دينار ان هو خالف على القرمطي فأجابه ابن الجراح الى ما طلب فاستخلفوه فحلف مشروطاً وصول المال وانه اذا وصل المال المقرر انهزم بالناس

فأحضر المعز المال فلما رأوه رأي العين استكثروه فضربوا أكثرها دنانير من النحاس وأبسوها الذهب وجعلوا الدنانير المشوشة في أسفل الأكياس ودنانير الذهب الخالص في أعلاها ولما حملت الاموال الى ابن الجراح أرسل الى المعز أن يخرج في عسكره للقتال في يوم عينه وانه سيقا تل في وجبة عينها هي الأخرى وفيها ستكون الهزيمة لجيوش القرامطة

ولما حان وقت القتال والتقى الجمعان حمل المعز بجنوده على جيوش القرامطة في الناحية التي عينها ابن الجراح فحمل عليهم المعز حملة صادقة فانهزم عرب الشام وتبعتهم سائر العرب

فلما رأى الحسن القرمطي انهزام العرب تمير في نفسه وقا تل بعسكره إلا أن الروح المعنوي في جنود المعز ارتفعت فحملت على القرمطي وجنوده من كل جانب حتى أرهقوه فولى منهزماً فاتبعوا أثره حتى ظفروا بعسكره فأخذوا من فيه أسرى فكانوا نحو ألف وخمسةائة أسير فأمر المعز بضرب أعناقهم جميعاً والاستيلاء على ما في المعسكر

ثم جرد المعز القائد أبو محمد بن ابراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل وأمره  
باللحاق بالقرامطة والايقاع بهم فاتبهم وتناقل في سيره خوفاً أن تكرر القرامطة  
راجعة اليه فتقضى عليه

أما هم فساروا الى أذرعات ومنها قصدوا الى الاحساء بلدتهم ونجى الله مصر  
من عبثهم بمزيمة المعز لدين الله ودهائه وأخذه بمبدأ الشورى

### في دمشق

لما بلغ المعز لدين الله نبأ انهزام القرامطة في الشام وعودة زعيمهم وقلوب جيوشهم  
الى الاحتساء أرسل القائد بن ظالم بن موهوب العقيلي واليا على دمشق فدخلها  
فالتفت حوله الجموع وكثر ماله وصلح حاله وسببه انه كان باقياها جماعة من القرامطة  
ومنهم أبو النجا وابنه وجماعة من الاتباع فألقى ظالم القبض عليهم وحبسهم وأخذ  
الاموال التي جمعوها وما ملكت ايمانهم من كل شيء

أما القائد أبو محمود الذي سيره المعز لاقتناء آثار القرامطة المنهزمين فدخل  
دمشق بعد وصول ظالم اليها بايام قليلة فنخرج ظالم الى لقائه فرحا بقدومه آملا في  
معاونته اذا عاد القرمطي بجيوش جديدة وطلب اليه ان ينزل عسكره بظاهر دمشق  
وسلم اليه ما عنده من أسرى القرامطة فحملهم ابو محمد الى مصر وكان بين الاسرى  
رجل يقال له النابلسي هرب من الرملة وتغرب الى القرمطي ودخل معه دمشق ثم  
أقام فيها حتى جاء ظالم وأسرته مع بقية القرامطة فلما سجن بمصر قال له أبو محمد لقد  
بلغني عنك انك قلت اذا كان معك عشرة اسهم رميت الروم بواحد منها وأما  
التسعة فارمى بها جيوش المعز المغاربة فقال نعم فحكم عليه بسلخ جلده وحشوه تبنا  
وصلبيه .

### محمود أبي محمود في دمشق

بقي الجنود في ظاهر دمشق كما طلب ابو ظالم من قائدهم فلما مكثوا وقتا امتدت  
أيديهم بالعبث وقطع الطريق فاضطرب الناس وخافوا  
وقد اتفق ان صاحب شرطة دمشق قتل رجلا فثار عليه الغوغاء والاحداث

وقتلوا أصحاب الشرطي فاضطرب جبل الامن غير ان ظلماً اخذ يداري الرعية وكان  
أهل القرى قد نزحوا الى دمشق لنهب المغاربة الذين مع أبي محمود أموالهم وظلمهم  
لهم . ثم دخلوا دمشق فكان ذلك سبباً في وقوع فتنة عظيمة في نصف شوال  
بين عسكر أبي محمود وبين أهل دمشق وقد نشبت الحرب بين الفريقين الا أن ظلماً  
كانت ضلعه مع الدمشقيين

غير ان المغاربة اتباع أبي محمود لم يكنوا أذاهم فأخذوا قافلة كانت سائرة  
بالفوطية بجوار دمشق وهي قادمة بحموها من حوران وقتلوا من رجالها ثلاثة كانوا  
يبددون عنها فجاء أهل القتل وحملوا جثثهم ووضعوها في الجامع ليراها المصلون  
فكان ذلك سبباً في الفرع فاغلقوا الاسواق وتحجز الناس القتال فهدأهم عقلاؤهم  
فحاول المغاربة نهب قونيه واللؤلؤة فوقع الصباح في أهل البلد فنفروا وقتلوا  
المغاربة وفي السابع عشر من ذي القعدة ركب أبو محمود في جموعه فرحف الفريقان  
بعضهم الى بعض غير ان المغاربة تغلوا على الدمشقيين فانهزموا بين أيديهم الى سور  
البلد وصبروا عنده على القتال فخرج اليهم من تخلف عنهم وتعاونوا على رشق المغاربة  
بالنشاب فانهزموا جراحاً فتراجعوا بين يدي الدمشقيين وهم يلاحقونهم ولكن  
المغاربة كروا على العامة فهزمهم حتى اعادوهم الى اسوار دمشق فبرز ظالم من دار  
الامارة فحميت معاطس المغاربة فألقوا النار في دمشق من ناحية باب الفراديس  
فأحرقوا تلك الناحية وأخذت النار الى القبلة فأحرقت كثيراً من البلاد وهلك جماعة  
من الناس وما لا يحصى من الاثاث والاموال والرجال والدواب

وقد بات الناس على اقبس صورة ، غير ان ذلك كان سبباً في الصلح بين  
الفريقين ولكنه صلح لم يدم فانتقض المتصالحون وما زال كذلك الى ربيع  
الآخر سنة ٣٦٤ فتجددت الفتنة وترددوا في الصلح فاستقر الامر بين القائد  
أبي محمود والدمشقيين على اخراج ظالم من البلد وان يقوم بالامر بدلا منه  
جيش بن الصمصامة ( وهو ابن اخت أبي محمود ) ونم الاتفاق على ذلك  
وخرج ظالم من البلد فسكنت الفتنة بعد ان ولي الأمر جيش بن الصمصامة  
فاطمان الناس

غير ان المغاربة عاثوا في البلد فساداً بعد أيام في باب الفراديس فثار عليهم

أهل دمشق وقتلواهم وقتلوا من لحقوه وساروا الى قصر بن الصمصامة فهرب منه هو ومن معه من الحرس المغربي ولحق بمسكر خاله فلما كان من الغد وهو أول جهادي الأولى زحف بن الصمصامة في العسكر على دمشق وقاتل أهلها فتاروموه ولكنه ظفر بهم وهزمهم وأحرق من البلاد ما كان قد سلم من الحريق الأول . وقد دام القتال بينهم أياما كثيرة وخربت المنازل وانقطعت المواد الغذائية وسدت المسالك وبطل البيع والشراء وقطع الماء عن البلد فبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على الطرقات من الجوع والبرد . ولكن هذا الكرب لم يدم وجاء الفرج من مصر بعزل أبي محمود عن قيادة العسكر

والسبب ان بلغ المعز ما قام في دمشق من القتال والتعريق والتخريب فاستنكر منه الفظائع واستبشعها واستعظم حصولها فأرسل الى القائد ريان الخادم والي طرابلس يأمره بالمسير الى الشام لمشاهدة حالها وتحقيق ما وصل الى علمه من أمرها وكشف أمور أهلها وتعريفه بحقيقة الأمر وأن يصرف القائد أبا محمود عنها فامتثل ريان الأمر وسار الى دمشق وكشف الأمر وكتب به الى المعز وتقدم الي أبي محمود بالانصراف عنها فسار في جماعة قليلة من عسكره الى الرملة وبقي أكثر العسكر مع ريان

### صوت المعز لمصرين الله

استقرت الحال في الملك للمعز الى ستة وخمسين وستين وثلاثمائة حتى السابع عشر من ربيع الآخر من هذه السنة اذا ادركته الوفاة فكانت مدة حكمه ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام قضى منها في مصر سنتين وتسعة أشهر وقد ولد المعز في المهديّة من أعمال افريقية في الحادي عشر من شهر رمضان سنة ٣١٩ تسع عشر وثلاثمائة وله من العمر خمسة وأربعين سنة وستة أشهر تقريباً وهو أول الخلفاء العلويين الذي ملك مصر ودخلها وكان عالماً فاضلاً وله معرفة بعلم الفلك والنظر في النجوم وهو جواد كريم شجاع حسن السيرة كاليه الخليفة المنصور العلوي صاحب افريقيا . وكان الخليفة المعز منصفاً للرعية عادلاً في أحكامه

فرحمه الله رحمة واسعة .

وقد خلفه على الملك ولده العزيز بالله . والملك لله الواحد القهار  
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء  
هذا ما يكاد يجمع عليه المؤرخون لتاريخ الخليفة المعز لدين الله  
إلا ان التقويم زعم ان الخليفة تعمد بمعمودية كنيسة أبي سيفين . كبرت كلمة  
تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا

وانها لفرية تنشق لها الارض وتميد بل تخر لها الجبال هدأ  
انتظرت أن يقوم أحد من أجلة العلماء المسلمين أو كبار الكتابين متصدياً لنفي ذلك  
الكذب عن أكبر خليفة له أثر عظيم لا يزال قائماً بين ظهرانينا وانها لا آثار تشهد  
له بالعظمة الاسلامية وحسبه فخراً أن يكون من آثاره أكبر وأقدم جامعة علمية  
في الشرق والغرب معا وهي الجامع الازهر

طال انتظاري فلم أجد أحداً تصدى لهذا الشأن كأن السياسة قد أهت الناس  
عن كل شيء فصرفتهم عن الانتباه لأخص الامور واولاها بالعناية  
تقدمت وأنا الضعيف الشأن الصغير القدر لهذا الأمر الخطير فأنشأت فصلا  
ضمنته رأيي في هذا الموضوع ملقناً الانظار الى تلافى هذا الخطأ الفاضح في التاريخ



وقد نشرت جريدة الثغر هذا الفصل في عددها الصادر يوم ٥ أغسطس سنة ١٩٣١ افتتاحية لهذا العدد واليك نصه :

هل تنصر المهزلمين الله الفاطمي الحسيني

منشيء الجامع الأزهر

هذا ما يقوله في تقويم الحكومة قبلي متمصبا

وهل يليق أن يصدر ذلك عن مطبوعات الحكومة الرسمية ؟

في الناس أفراد لا يستقر لهم قرار إلا إذا أثاروا الفتن بين الشعوب لطبيعة في نفوسهم أقل ما يقال فيها أنها نزعاً إلى الشر الذي تنلظى ناره أبداً ، فإذا سجدت بمرور الزمن هبت عليها رياح تلك النزعة فأشعلتها اشتعالاً ومن أولئك الأفراد مرقس سميكة باشا فهو لا يطيب له عيش ولا يهدأ له بال إلا إذا وجه إلى المسامين الأذى بقدر ما يستطيع من حول وحيلة

كان موظفاً بالحكومة في عنقوان شبابه فخلع ما عليه من ملابس الموظفين وارتدى ملابس المبشرين بل كان أشد نكالا على مرءوسيه المسامين من أشد المبشرين تعصباً ، ولقد أطبق على هؤلاء الضمفاء بما توافر له من السلطة والنفوذ حتى صاحوا من الألم تلك الصيحة التي اقتلعت الأوتاد وظهر ماتحت الخيام من الاستبداد

وما تكشف أمره إلا عن فضائح « السكة الحديدية » فأقبل من وظيفته الكبرى وأخذ أولياء الأمور في معالجة الجراح الدامية التي أحدثها تعصبه في تلك المصلحة

مضت السنون يلاحق بعضها بعضا ولكن كير الزمان لم يستطع أن  
ينقى خبث حديد تلك النفس التي طبعت على الشر واطمأنت اليه اطمئنانا  
أصدرت الحكومة تقويما لهذا العام قام بنشره قلم نشر مطبوعات  
الحكومة وطبعته المطبعة الاميرية ووزعته وزارة المالية ، وان تقويما مثل  
هذا يجب أن يكون في مأمن يناي به عن أقلام ذوي الاغراض وبخاصة  
من لهم سرايق في أذى المسلمين حتى استحقوا أن يمدوا عن وظائفها أمثال  
مرقس سميكة باشا المشهور بتعصبه ضد المسلمين من زمن بعيد

تجاوزنا ما شاهدناه على غلاف التقويم من رسم الصليب داخل دائرة وقلنا ان  
الفن قضى يجعل هذه الدائرة حاية وسامنا باز ذلك قدياً تى عنوا لكل مبدع فنان  
ولما رأينا التقويم على بصورة جلالة الملك فؤاد الاول حفزنا ذلك  
الى الامعان فى المطالعة ولكننا صدمنا صدمة عنيفة عندما وجدنا فصلا عن  
السكنائس بقلم مرقس سميكة باشا وخطر لنا انه لا بد أن يكون قصد  
ففسداً سيئاً بالمسلمين كعادته ، واتفاق المسلمين والقبط وتأزرهم فى الشدة  
والرخاء فى العهد الاخير لا يؤثر فى أمثال الباشا من المتعصبين

ففى الصفحة الحادية والسبعين بعد المائة من التقويم قال فى كلامه على  
كنائس دير أنى سيفين

« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة »  
« بنقوش بارزة تمثل القديسين ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله »  
« تعمد فيها سراً » .

ولا جرم ان هذا يقال لزاثرى تلك المعاهد من الامريكين والاوروبيين  
وقد حاولنا أن نرى ذلك المصدر التاريخي المشتمل على هذه الاكذوبة

الفضيعة على مؤسس دولة الفاطميين الاسلامية في مصر فلم نجده أشار الى ذلك مطلقاً فالمعمودية هي أساس النصرانية . فإذا يكون المعز لدين الله الذي أنشأ الجامع الأزهر قد صار نصرانياً إذ بهرته مناظر تلك الكنيسة وما فيها من النقوش البارزة كما بهرته الاحجية المطعمة بالعاج المنقوش بنقوش هندسية جميلة يتخللها الصليب ، ولعل الرسم الذي على غلاف التقويم منقول عنه ولقد أنساه ذلك ماله من بسطة الملك المطل على المحيط الاطلانطي مشتملاً على شمال افريقيا : « مراکش والجزائر وتونس وطرابلس وبرقه » ومصر والشام وما والاها

ان المعز لدين الله لم يكن أمره بالهين على المسلمين حتي تقتري عليه مثل هذه الفرية الفضيعة في كتاب رسمي إذ هو فضلاً عن كونه من السلالة الفاطمية الشريفة فانه أكبر عاهل اسلامي ظهر في القرن الرابع الهجري . وفي نحو منتصف هذا القرن قرع سمه وهو في أقصى المغرب ما أمست فيه مصر من الكرب والفتن والغلاء بعد وفاة كافور الاخشيدي حاكمها فسارع الى نجاتها بجيش جرار عقد لواءه للقائد أنى الحسن جوهر الصقلي فاستولى على مصر بأسمه ثم سارت جنوده الى الشام فامتلكتها رغم ما كان فيها من الفتن والحروب

وعند ما قدم الى مصر بعد ان استتب له الملك قبل وفاته بأقل من ثلاث سنين كان معه جنود عظيم ضاقت به مصر ومال وفيه اضطروا لوفرتها الى أن يحول الدنانير سبائك من الذهب على أمثال حجارة الطاحون ويجعل كل اثنين منها حمل بعير وكان ملكه ممتداً في البحر الأبيض المتوسط يشمل كثيراً من جزائره وعساكره منصوره في كل مكان سارت اليه

فهل هذا اذا وصل الى مصر يبهره منظر احدى الكنائس القبطية الصغيرة فيرتد عن دين الاسلام ويترك القمامصة والقساوسة يغطسونه في ماء المعمودية ليصبح نصرانيا بلا بحث ولا جدال ثم لا يعلم بذلك إلا مرقس سميكة باشا؟

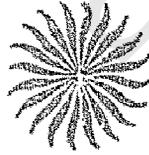
لو كان للقبط يومئذ سلطان يخشاه أو علم يبهر العقول لكان في الامر نظر، فكيف ولم يكن من ذلك شيء لا كثير ولا قليل؟  
ففي العهد الذي دالت فيه الدولة الاخشيدية وحلت محلها الدولة الفاطمية وسلطانها ممدود الرواق غربا وشرقا كان القبط في ذل يستحقون معه الرحمة فهل يجيء العاهل الاعظم والخليفة الاكبر رب الجيوش الفائزة والعساكر المنصورة فينزع نعليه ويمشي حاسر الرأس مطأطئا يغطسوه في ماء المعمودية ليتبدل المسيحية بالاسلام - الله أكبر - انها القرية بالغة لا يستطيعها إلا مرقس سميكة باشا ولا يسبقها إلا تعصبه العميق، ولكن كيف جاز أن تشاركه في ذلك احدى مضالح الدولة الاسلامية؟

هذا بلاغ للناس قد بيناه فخرجنا به من تبعه العلم والسكوت، فعلى رجال الازهر الشريف من طلبة وعلماء أن يتولوا الامر بانفسهم لانهم هم الذين يتفياؤن ظللا وارفا مده المعز لدين الله بل هم وخدمهم الذين امتلكوا ترانا تركه للمسلمين منذ نحو ألف من السنين. نعم عليهم أن يدافعوا عن عقيدته التي لقي الله عليها والمعروف انها العقيدة الاسلامية وما شاد المعز هذا الجامع إلا لحفظ هذا الدين القويم، فعلى الازهر بين عامة ومشيخة الازهر خاصة أن يسعوا في القضاء على هذه القرية بآبادة ذلك التقويم الذي صدر بعد ان مضى من العام الذي خصص له سبعة أشهر وكان مما لا يضر

أن تبقى الشهور الخمسة من غير أن يكون لها مثل هذا التقويم الاثيم ،  
والآن لقد بلغت. فاللهم اشهد فأنت على كل شيء شهيد « ح »

\*\*\*

لم تكذ جريدة الثغر تتداولها الايدي حتى هب الكرام الكاتبون يساقون  
هذا المتري المدعو مرقس سميكة باشا بالسنة حداد وكان أول من استجاب لدعوتي  
صاحب الصوت العالي شيخ العروبة الاستاذ احمد زكي باشا فبعث الى جريدة الثغر  
فصيلا اثني فيه عليها وعلى هذا الصغير كاتب هذه السطور وأني لاضاعف له التناء  
جزاء دفاعه عن ذلك المقام الاسلامي العظيم وبما رد به على ذلك الافاك .



وكذلك بحث بنفس المقال الى جريدة الاهرام فنشرت الجريدتان فصله في يوم واحد، واليك نصه :

مقالة احمد زكي باشا الاولى

اسطورة قبطية كذابة

أكذوبة مرقس باشا سميكه

على المعز لدين الله الفاطمي

— ١ —

جاء في جريدة النور الغراء الصادرة بالامس مقال قيم عن الاكذوبة التي تحمل وزرها صاحب السعادة مرقس سميكه باشا عضو لجنة الآثار العربية، وزميل مجمع الاثريين بلندن، ومؤسس المتحف القبطي . فقد زعم سعادته انه يقال أن الخليفة المعز لدين الله مؤسس الازهر الشريف قد تنصر وتناول ماء العمودية في كنيسة صغيرة بدير أبي سيفين بمصر القديمة

نشر الباشا هذه الاضالوة الشنيعة في وثيقة رسمية هي «تقوم الحكومة المصرية» الذي يتولى نشره على جميع المصالح الرسمية «قلم نشر مطبوعات الحكومة المصرية» ١١ وهذا التقوم مبثوث في الجماهير بألاف وآلاف النسخ نعم أن صاحب السعادة سميكه مرقس باشا قد احتاط احتياط النعامة في البيداء، فكتب في هذه الوثيقة الحكومية الرسمية « ويقال أن المعز لدين الله تعمد سرآ في تلك الكنيسة الصغيرة الطيفة »

فرضي الله عن جريدة النور الغراء ورضي الله عن الفاضل المقدم الذي كتب الرد في تلك الصحيفة الصباحية وان كان بخجل علينا باسمه الكريم مكتفياً بحرف (ح) ورضي الله عن الصديق العيور الذي تفضل فأرسل لي بالبريد مساء الامس نسخة من تلك الصحيفة الصباحية وكتب عليها بالقلم الرصاص هاتين العبارتين:

١ — أيصدر هذا التقوم الرسمي وأنتم في مصر ؟

٢ — ما رأي شيخ العروبة في هذه ؟

واتي فيما يلي من السطور سأتناول البحث مع تأييده بالاسطورة القبطية

المكذوبة التي غررت بصديقي المفضل مرقس باشا سميكة حتى جعلته يجعل خليفة الاسلام نصرانيا بطريق التعميد ، سواء كان ذلك التنصير عمداً أو « عبادة » من الباشا المفضل ، حرس الله مهجته واعاده الى محجة الصواب

عذراً يا صديقي القديم العزيز ، فالحق فوق وفوقك . وليس في وسعي السكوت عن تكذيبك وهدايتك الى الحق بارشادك الى الذي أوقعك في الضلال ، ان كنت أنت وقعت فيه اعتباراً

أنت تعلم ، والناس يعلمون ، أنني في كل يوم اتولى تكذيب النصارى الذين افتروا الكذب على نبي المسلمين بتلفيق كتابات مزورة استخدموها للتغريب بالحكومات الاسلامية حتى جعلوا فريقاً كبيراً من المسلمين يكذبون على أنفسهم وعلى نبينهم ، مخدوعين بهؤلاء الافاكين من النصارى الزورين

وأنت تعلم مثلي ان هؤلاء النصارى الخادعين هم من رجال الدين ، وتعرف كما أعرف أنهم قد ارتكبوا التزوير على نبي المسلمين لمصلحة دنيوية يريدون منها توفير المال لكنائسهم واديارهم ، وعدم دفع المستحق على املاكهم واطيانهم لخزينة الدولة الاسلامية

أما أنت ، وأنت من رجال الدنيا ، فقد جريت على اسلوبهم ونسجت على منوالهم لمصلحة تخيلت أنها تعود الى الدين والمسيحية في غناء عنها ، والاسلام لا ضرر عليه منها

من أجل ذلك كان وزرك عندي أكبر ، لاسيما وانت من أهل المعرفة الصحيحة ، وعندك علم الحق . وأنت لا تخفيه ، ولكنه شبه عليك فيه فانك يا أخي ، قد انخدعت بما طرق سمعك قديماً من تلك الاسطورة القبطية الخرافية ، السخيفة ، الخسيسة . ولطول العهد — ولا أقول لسوء القصد — تبدلت الاسماء في اكرتك ، وانعكست عليك الآية . فخلطت زيداً بعمر ومن حيث تدري أولاً تدري فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

ذلك الحق أن تنسب لدينك كل ما تريد من المزايا والمحامد . فذلك أمر نقابله

بالاجلال والاحترام . لأنه صادر عن عقيدة صادقة راسخة في الفؤاد . على أن هناك حدوداً ، يجب على من كان مثلك أن يقف عندها وأن لا يتجاوزها  
لقد استفلت أنت الحكومة حتى استدرجتها الى أن تسمح لك بكتابة نبذة  
عن الكنائس القبطية لادراجها في التقوم الرسمي الصادر باسم حكومة مصر —  
ولا يعني في هذا المقام أن تكون اسلامية أو غير اسلامية ، مستقلة أم احتلالية  
ولكن صبغة التقوم رسمية . فهو اذن وثيقة حكومية ا  
حتى لو صدر عن مدينة الفاتيكان برومية .  
حتى لو صدر عن كنيسة الفنار بالقسطنطينية .  
حتى لو صدر عن كنيسة القيامة بالقدس .  
حتى لو صدر عن البطر كخانة الكبرى بالشرب الواسع بالقاهرة :  
فان شيئاً من الحياء ، أو قليلاً من الذوق ، أو حساباً للواقع ، أو خوف الحق  
الذي جاء به المسيح ، كل أولئك كان يحول دون دس هذه الخديعة ، ودون  
التدليس بمثل هذه الدسيسة  
ولكن هل بلغت الفوضى السياسية بمصر أن تتركك تقري هذه  
الفرية الخبيثة ؟

— ٤ —

لعلك تدافع عن نفسك ، يا عزيزي مرقس باشا ، بأن الذي خطته يملك في  
التقوم باسم قلم نشر مطبوعات الحكومة بالمطبعة الاميرية الرسمية ، ( في صفحة ١٧١ )  
أثناء كلاك على دير أبي سيفين ، انما هو قولك بالحرف :  
« ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة  
تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سراً » اهـ بنصه  
وفصه . بل بعجره وبجره ، بل بأ كذوبته وضلالته .  
هكذا تكون الدسيسة ، والا فلا . .

أأنت تنفت السم وتنشيه بطلاء خلاب كذاب بلفظة « يقال » !  
أأنت ترسل الدسيسة تسعي مثل الافقي ، وقد غطيتها بثوب الرياء الشفاف ،  
أي بكلمة « يقال » !

هذه الاخدوة ، يا عزيزي مرقس باشا ، هي مفضوحة وفوق المفضوحة . فانك تخيلت أنها تتيك سهام الملام ، فيما لو قام أحد لمخاسبتك عليها ، فتكون في حل من الكذب ، ونشر الكذب ، وترويج الكذب ، في وثيقة رسمية صادرة باسم الحكومة المصرية ( وأكرر انه لا يهمننا أن تكون الحكومة اسلامية أو ارثوذكسية ، استقلالية أم بروتستانتية )

أنت ظننت انك فتحت لنفسك باب الخلاص من هذا المأزق الخرج ، يا شاطر ولديك وقعت ، يا شاطر ! وكانت وقعتك غير موفقة ، يا شاطر !

فلو انك استنجدت بابليس وبكل كذاب في العصر القديم ، وفي العصر الحديث ، ما امكنت ان تتخلص من هذه الورطة ، الا اذا ادليت اننا اليك بجبل النجاة ، يا مسكين ! أنت تقول في وثيقة رسمية لحكومة مصر : « يقال ان المعز لدين الله تعمد سرا في كنيسة بدير ابي سفين » ! !

ابن قيل هذا ، يا صادق النقل ويا صحيح العقل ؟  
من ذا الذي قال ذلك قبلك ، يا صاحب الامانة ، ويارب الشرف ؟  
لا أحد ، لا أحد ، لا أحد !

بل هنالك واحد ، قال ذلك  
وذلك الواحد أنا اعرفه كما تعرفه انت !  
ذلك الواحد هو :  
سعادة مرقس سميك باشا ، ولا غيره !



والآن ارشدك ، يا عزيزي العليم ، الى الاسطورة التي جعلتك ترتكب التعريف والتصنيف ، ولا أقول التعريف والتجديف

والآن آخذ بيدك لاضعها على مربط الفرس ، عساك ترجع يهداتي الى الحق . وأنا عارف بشجاعتك الأدبية التي تحفزك الى المجاهرة بالحق  
انت أردت « الحاكم بأمر الله » وانت مخطيء  
وبدك كتبت « المعز لدين الله » وهي خاطئة !

افهمت ؟ ام انت تريد البيان !  
فاسمع ، وافهم ، ارشدك الله واياي الى الصواب .

### اسطورة قبطية كذابة

حدثنا التاريخ عن هديانات الحاكم وعن مناقضاته وعن اضطراباته ، بما هو موضع الانكار الباقي والاستنكار المتواصل وحدثنا التاريخ ان اخته الاميرة « ست الملك » قد ارادت انقاذ الامة من شره وتخايص العرش من عبثه وحفظ الملك من عبثه .

من أجل ذلك لجأت الى تديرير المؤامرة والمؤامرة يلزمها المال ، فارسلت الى حاكم جزيرة تنيس ( المدفونة الآن في بحيرة المنزلة ) بأن يحمل المال اليها المجتمع لديه ويمجّل بتوجيهه . وقيل انه كان الفي الف دينار والفي الف درهم ( أي مليون ومائتي الف جنيه مصري تقريبا ) — وذلك من الاموال الربوطة على الاطيان المتجمدة لديه عن مدة ثلاث سنوات فحمل المال اليها واستعانت به على ما دبرت ( راجع خطط المقريزي ج ا ص ١٨١ )

فاما فرغت من أمره ، واستراحت الامة من عبثه وشره واستقر الملك في نصابه ، رأى جماعة من الناس انه مظلوم بسبب هذا الاغتيال

وتاريخه معلوم ، واحواله معروفة وكأها عجز وبجر ، قد يتخللها غرر ودرر والعجب العاجب ، بل واعجب العجب في شأن هذا الرجل أنه كما كان مصدر للتناقض في حياته ، فقد صار مصدر التناقض أيضا بعد مماته

ذلك لان الاقباط اختلقوا عليه اسطورة سخيفة وزعموا — وهم كاذبون — انه تعمد وتصر لاعجوبة رأها

وهذه الاسطورة الكذبة المكتوبة كان الاقباط بها جاهلين وعنهما لاهين الى أن جاء يعقوب باشا ارتين فاكشفها وكشفها وعمل بحثه عنها باللفة الفرنسية في سنة ١٨٩٤ ميلادية

وقامت بجانب الاسطورة القبطية اسطورة درزية تحارب مسيح النصارى فجعلت « الحاكم بامر » إلها معبودا للدروز

وتعالى الله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، عما يقول هؤلاء . وهؤلاء ا  
أفهمت يا أخى مصدر التخليط الذي وقع فيه الحصيف الرشيد مرقس باشا  
سميكة ؟

اختلفت في ذهنه الاسطورة التي تقولوها على « الحاكم بامر الله » فاراد أن  
يتعلى وان يزيد ، وان يرتفع وان ينبسط ، فنسب هذه الخرافة السمجة المرذولة  
المستبعدة الى « المعز لدين الله »

والاسطورتان مكنوبتان

وكل قائل بهما كذاب كذاب

وليس لصاحبي أن يلتمس الخلاص بقوله انه نقل « ما يقال » وانه استعمل  
صيغة الابهام وهي « ويقال »

بل الواجب عليه أمام ذمته المسيحية — وانا اعلم انها شريفة طاهرة بريئة —  
أن يأتينا باحد امرين

أولهما — البرهان المادي على نسبة هذا القول الى أي انسان كان ، أو وجوده  
في أي كتاب كان ( ولن يستطيع ولن يستطيع ، ولن يستطيع ، ثلاثا )

وثانيهما — ان يرجع الى الحلق في غير موارد ولا مداواة ، وان يقول لنا  
صراحة انه اختلفت عليه الاسطورة المكنوبة التي اختلفها الاقباط السابقون على  
« الحاكم بامر الله » وانه قد خانتها لذا كرت فعملت يده تكتب بالزور والبهتان  
اسم « المعز لدين الله »

واجب على سمادة مرقس باشا سميكة أن يبادر الى هذا « الاعتراف » على  
ملاء الناس وعلى رؤوس الاشهاد ، محافظة على كرامته العلمية وعلى مكانته الشخصية  
وبناء على ذلك ادفع له الآن قسطا معجلا من الشكر ، وفي غد اذكر له خلاصة  
عن الخرافة القبطية الكاذبة المكنوبة . وعما فعلها الاستاذ ديع حنا السادق في تاريخه

والله يقول الحق ويهدي الى سواء السبيل

احمد زكي باشا

عن دار المروبة



ونشرت جريدة الاهرام يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٣١ ما يأتي:

ر د علي صديقي

احمد زكي باشا

اطلمت في صدر جريدة الاهرام الغراء على مقال طويل بعنوانات ضخمة وحروف كبيرة وقد كتب على النمط الذي اختص به صديقي احمد باشا زكي ولا اروم ان ارد على هذا المقال الا بعبارات موجزة منزهة عن القذع مبرأة من كل ما يجرح احساسا ويؤلم شعوراً أو يخالف قاعدة من قواعد المناظرة التي تواضع عليها الادباء في كل زمان ومكان . فأقول :

أولاً : ليس صحيحاً ما قاله الباشا وهو أن الرواية التي اعترض عليها لم ترد في كتاب ولم يروها احد قبلي بل الصحيح أنها وردت أولاً في كتاب وصف الكنائس القبطية الاثرية للدكتور الفرد بطر جزء أول صفحة ١١٧ طبعة كسفورد سنة ١٨٨٤ ونص عبارته « اخبرني القسيس — يقصد قسيس كنيسة أبي سيين — ان السلطان المعز تعمد بها بعد ان اعتنق المسيحية »

والواقع أن الرواية متواترة من مئات السنين ولو كلف صديقي احمد باشا نفسه وذهب الى هذه الكنيسة الاثرية لدله خدامها الى معمودية السلطان المعز ووردت هذه الرواية عنها في كتاب « الجريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » لاحد رهبان دير السيدة بليموس في برية انا مقاريوس وقد طبع في مطبعة الشمس سنة ١٩٢٤ جزء ٢ صفحة ٢٤٨ وهذا نص عبارته :

« قيل أن المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلي عن كرسي الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيين »  
ثانياً — ليس صحيحاً ما قاله الباشا وهو أني خلطت بين الحاكم بأمر الله والمعز لدين الله بل الصحيح أن أعجوبة جبل المقطم التي قيل أنها كانت سبباً في تنصر المعز حدثت في زمن ابرام السرياني الذي رسم بطريركا في سنة ٩٧٥ ميلادية على ما وراء ساويرس اسقف الاشمونين في كتاب « تاريخ البطاركة » وصديقي الباشا يعلم أن التاريخ يرافق عهد خلافة المعز

ثالثاً — ان هذه العبارة رويت في معرض الاشارة الى أثر قديم في الكنيسة وهو المعمودية ولولا ذلك لما كان تمت محل ذكرها وقد نشرت منذ سنتين في تقويم المطبعة الاميرية وفي كثير من الكتب عشرات السنين عند آثار القبطية فلم يكن القصد من ذكرها اذن لا تعجيد المسيحية ولا اساءة الاسلام وأحرار بالمسيحية والاسلام أن تكون قوتها وفخرها لا يرفعه مقام معتقبيها ولا بكثرة عددهم بل بفاعلية مبادئها في النفوس

رابعاً — لو كان مراد صديقي احمد باشا زكي من هذه الجملة مجرد النقد التاريخي لاغنى نفسه مؤونة تحرير مقاله الطويل الذي حشاه بما نضج به انا، أدبه وفضله ممن لم اكن انتظره من صديق قديم على انى لا أحسبه بعد ما يقرأ ردي هذا الهادي، على مقاله البصامت الا موافقي على ان للنقد التاريخي والبحث العلمي طريقة أخرى غير هذه الطريقة هداه الله ووقفه الى خدمة العلم والتاريخ بما نرضاه له ونتمناه

سرقس سميكة



## مقالة أحمد زكي باشا الثانية

### الاسطورة القبطية المكذوبة

كلمة لها ما بهمها

الى صديقي مرقص باشا سميقة والى مؤيديه ومعارضيه

— ١ —

قرأت صباح الأمس في جريدة « السياسة » كلمة لصديقي العلامة الأثري والبحاث العارف ، والخير العليم ، صاحب السعادة مرقص باشا سميقة . واذا به لا يزال مصرأ على قولته ، باقياً على أسطوره . فلم يعترف لنا اعتراف العالم الصادق النزيه بكذب الذين اختلقوا سرية التعميد وكذبوا على جرن العمودية ، وتحرصوا بوجود القبر المكذوب في دير الشهيد الجليل أبي السيفين بالفسطاط وهو يعلم ان كل ذلك مخالف للحقيقة المادية المحسوسة التي لا محل فيها للجدال العقلي ، ولا للحوار النظري ، ولا للمباحكات السوفسطائية .

عجبت من اصراره على قولته ، إذ كنت اتقرب من شجاعته الادبية ، ومن كرامته العلمية ، أن يرجع عن هذه الاختلافات الثلاثة ، ليكفيني مؤونة الرد ، وليستحق كل شكر من العلم ومن الحق لكنه أراد ، أو حاول ، أن يقفل الباب على تلك الدسيسة الخبيثة الخسيسة فيبقى أثرها عالقا بالنفوس ، أو على الأقل عند فريق كريم من المصريين . وهذا الفريق معذور ، اذا كان يرى مثل العلامة سميقة باشا مصرأ على هذا القول الفتان المفتون

— ٢ —

وقرأت بعد ذلك مقالات ، بعضها أو واحدة منها في الانتصار أو شبه الانتصار لسعادته بجريدة مصر ( التي بترت عباراتي من باب الاختصار طبعا وأكثر هذه المقالات في الرد عليه بجريدة « السياسة » و « الاهرام » و « المساء » وغيرهن ،

وقد اعتمد كتابها الافاضل على البراهين العقلية وعلى المؤرخين المسلمين وهو  
مالا يرضيني في هذا المقام .

وقرأت صباح الامس أيضا كلمة طيبة في « الاهرام » بقلم الاستاذ الشيخ محمد  
عرفه . وقد تكفل بازاحة الستار عن مسألة التواتر التي يتدارى خلفها سميكة  
باشا بغير حق مثل ما تتدارى النعامه باخفاء رأسها في البيداء الظاهرة المكشوفة .  
وسعادته سيد من يعرف انه بذلك التواتر الموهوم المزعوم يصادم التاريخ الصادق ،  
صدمة لا يرضاها خصم عاقل ولا صديق جاهل

والآن اتقدم بالرجاء الى جميع الفضلاء والى أرباب الصحف بنوع خاص  
أن يتركوا هذا البحث مؤقتا وأن يمتنعوا عن الجولان فيه الى حين ، وأليس  
الصبح بعيد

وهذا الرجاء ينصرف بنوع خاص الى المعارضين لسميكة باشا في دعواه أو  
في اضراءه على دعواه أو فيما يحاوله من مداورة ومداراة :

ذلك لان استمرارهم على السير في الطريق التي انساقوا اليها بطبيعة الحال  
لتنفيذ ما اسموه « اسطورة المعز » أو « تنصر المعز » يجعلهم يخدمون الغرض  
الذي قد لا يقصده « عمداً » حضرة صاحب السعادة مرقس سميكة باشا عند  
ايراده هذه الاسطورة السخيفة بلا موجب ولا ضرورة في التقويم الرسمي  
للحكومة المصرية

فيبقى في الأذهان انه قيل — ان صدقا أو كذبا — بأن المعز قد تنصر  
وهذا كل ما يطلبه أهل التوفيق من ترسيخ هذه الأكذوبه عند العوام في مصر  
وفي غير مصر

سبق لي اني طلبت من سعادة مرقص باشا أن يأتيني بدليل ( وهو يفهم  
معنى الدليل ) على تلك الحرافة الكذابة التي لم يتورع سعادته عن وضع اسمه  
فوقها ، أو أن يرجع عنها بصراحة لامدحاة فيها ولا موارد

فجاوبني برده الاول ( في اهرام ٢٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٠ ، ٨ أغسطس سنة ١٩٣١ ) باسناد هذه الاسطورة المكنوبة الى أقوال مكنوبة مثلها . فيينا أنا أرجع الى المصدر الاصيل الاول في سنة ٩٧٥ ميلادية ، اذا به هو يستشهد ١١١١ بكتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة « الذي أصدره أحد الرهبان في سنة ١٩٢٤ ١١١ بعد ان استشهد ١١١ بالمؤرخ الانكليزي بطر في كتابه الصادر سنة ١٨٨٤ ١١١ وقد ترجم أقوله بما لا يوافق الاصل تمام الموافقة ، لا لغرض في نفس يعقوب ، بل من باب التهاون البسيط !  
على انه طلب مني أن يذهب الى تلك الكنيسة الاثرية بدير أبي السيفين « ليدلني خدامها الى معمودية السلطان المعز »

حينئذ هناك قبر !

حينئذ هناك برهان مادي على صدق الاسطورة !  
حينئذ ينبغي لي الانحاء « بمطائفة » ( أي باستغفار في انحاء ) نظير ما أبديته من الجحود والانكار أمام هذه الاسطورة التي يؤيدها لي صديقي الباشا المفضل ! من أجل ذلك ذهبت الى الدير مرتين لرؤية هذا النور بعيني ، وللتحقيق من هذا الاثر بنفسي . فقد أردت أن اتشبه بالحواري ثوما الذي أراد أن يكون ايمانه بقيام المسيح عن مشاهدة وعيان ( انجيل يوحنا ٢٠ : ٢٦ - ٢٩ ) وان اقتدى بسنة أحد الانبياء الذي خاطب الرحمن بقوله « رب ارنى كيف تمحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » ( قرآن كريم ١ : ٢٦٠ )

رأيت من واجب الامانة في الانصاف أن أجيء دعوته ، عماه يشبه بي في اجابتي الى دعوتي . وسأذكر في مقال تال خلاصة رحلتي الى الدير الصادق والى القبر المكنوب . ثم اظهر له وللناس جميعاً مكان قبر الخليفة الغاطي المعز لدين الله ، مؤيداً بالبرهان الصادق

وفي خلال تلك المدة كنت اتردد على المتحف القبطي ومكتبته ، وعلى البطر كخانة ، وغيرهما من مجامع العلم وخزائن الكتب

وسأنتقم عما قريب الى «رقص باشا» الى كل ذي عقل ودين بالبيان الشافي مؤيداً بالحجج المستقاة من نفس الاسطورة ، ومن نفس الذين اختلقوها ومن نفس الذين جسموها ونسخوها وزادوها وضخموها حتى أوصلوها بطريق المغالاة في الكذب الى درجة من الشناعة لا يرضاها انسان في منحه ذرة من العقل . اذ جعلوا من الجنة غير الموجودة قبة من فقاقيع الصابون .

راجعت كل الوثائق واستوعبت جميع الدلائل من المصادر الاصلية الاولية دون أن اعتمد على كاتب مسلم . بل كل حجتي مأخوذة من الاقباط المسيحيين ومن السريان المسيحيين

وانما اضفت السريان الى بحثي ، لأن البطريرك الذي نسبوا الى عصره تلك الاسطورة المكذوبة ، كان من السريان لا من المصريين . وقد راجعت كل ما كتبه علماء الافرنج من انكليز وفرنساويين والمان وغيرهم ، فلم اترك باباً في مصلحة الاسطورة أو ناقضا لها الاطرقته ، كما تقضي بذلك شريعة الانصاف . لأنني ابغي تصفية الحق من كل شائبة من شوائب الارتباب

هكذا استوفيت بحثي بعد تمام الاطلاع على كل ما يتعلق بهذه الاسطورة الكاذبة المكذوبة . فرأيتها تهدم نفسها بنفسها ، ويناقش بعضها البعض الآخر في الرواية الواحدة ، فضلاً عن مخالفة هذه الرواية للرواية الثانية ومناقضتهما معا للثالثة ، وهكذا الى ما تضمنته الاسطورة في حلتها وفي سدادها من الكذب الصراح على التاريخ الزماني وعلى التاريخ الانساني والعمراني ، مما لا يرتكبه تلميذ متيقظ في مدرسة ثانوية

رأيت هذه الاسطورة وما يتعلق بها ( تأييداً وتفنيداً ) في الوثائق الآتية بيانها :

١ — تاريخ البطارقة ، بنصه العربي الاستقف ساويرس بن المقفع ( مخطوط )

محفوظ بالدار البطريركية في جملة قطع مختلفة ، بعضها جيد جداً . والاسطورة مرسوسة فيه على هذا الرجل الفاضل كما سنبينه بالبرهان المادي في بحث آخر . وهذا التاريخ يتسلسل الى ما بعد وفاة مؤلفه ، لأنه يصل الى الدولة الايوبية . والتكلمة بالطبع بقلم انسان آخر بل كتاب كثيرين

٢ — نسخة أخرى بعضها قديم وجيد جداً جداً . وقد رُجمها سعادة مرقص باشا سميككة في سنة ١٨٩٨ وأكملها من النسخة السابقة والتاريخ يتسلسل فيها الى غبطة البطريرك يوانس الحالي بابا الكرازة المرقسية

٣ — تاريخ البطارقة المذكور مترجماً الى اللسان اللاتيني ومطبوعاً في باريس

سنة ١٧١٣ م وينتهي الى سنة ١٧٠٣ م

٤ — الاسطورة المذكورة منقولة عن ذلك التاريخ الى اللغة الفرنسية بقلم

ارتين باشا « في مجلة مصر » سنة ١٨٩٤ وهي مأخوذة عن نسخة من ذلك التاريخ مخطوطة في خزانة المرحوم بطرس باشا غالي

٥ — نص تلك الاسطورة عن النسخ المخطوطة بمكتبة باريس الاهلية وقد

نشرتها مجلة الشرق المسيحي ( بالعربي والفرنساوي ) سنة ١٩٠٩ و سنة ١٩١٠ بعناية المستشرق لوروا

٦ — تلخص هذه الاسطورة تلخيصاً وافياً في السنكسار القبطي الذي طبعه

المرحوم رينيه باسسيه المستشرق الفرنسي والفرنساوي في باريس من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٢٩

٧ — ملخصها الوافي بتاريخ « الكنائس والديارات في القطر المصري

وماجاوره » لأبي صالح الارمني النصراني نشره العلامة الفت الانكليزي في اكتوبر سنة ١٨٩٥ هـ

٨ — تلخيصها بالابحاز الشديد في « مختصر البيان في تحقيق الايمان » للعلامة

التاريخي الشيخ المسكين أبي المكلام جرجس بن العميد ( مطبوع رأيته بالمتحف القبطي )

٩ — تلخيصها بالاختصار الكلي في كتاب أصول الدين المسيحي « للعلامة

المفضال اسحاق بن العسال ( نسخة مخطوطة ، بالمتحف القبطي والدار البطريركية )

١٠ — تفخيمها في كتاب « بلوغ المرام في ترجمة سمعان الخراز والابا ابرام

للأسقف ايسودورس ، من أبناء عصرنا طبع القاهرة سنة ١٩٢٢

وقد راجعت ما كتبه جهابذة المؤرخين المسيحيين الذين بحثوا في تاريخ الامة القبطية قصداً أو عرضاً ، مثل يحيى بن سعيد الانطاكي ، والسيدة بوتشر

الانكليزية ، وجرجي زيدان اللبناني ، ثم ميخائيل شاروويم بك ، والشخص مسي  
القمص ، ويوسف منقريوس ورزق الله منقريوس ( وهؤلاء كلهم من أقباط مصر )

وعما قليل سأكتب ما فيه شفاء للناس ، ورضوان للمسيحيين والمسلمين ،  
باحقاق الحق ، دون ان أنسى طلب الهداية لصديقي مرقص سميقة باشا ، الذي  
سقطه الامانة الارثوذكسية ( رغما عنه ويوازع من قلبه وبالهام من ربه ) الى  
الرجوع الى الحق . ومن فك أدينك يا اسرائيل . ومن كلام أمتك الاقباط  
اهديك الى الصواب يا ابن بوحنا جرجس سميقة . فاني مازلت أحسن الظن  
بك . وأرجو لك التوفيق في تصحيح ما فرط من قلبك . وجل من لا يهوى .  
وكل آت قريب

عن دار العروبة  
احمد زكي باشا



ونشرت جريدة السياسة في يوم ١٠ أغسطس فصلاً افتتاحياً قالت فيه

الاهرام مؤسس الازهر بالتصحر

فرية الجهل والتعصب على التاريخ الاسلامي

في تقويم الحكومة الرسمي

وقف القراء على حديث تلك الاسطورة التي وردت في تقويم الحكومة هذا العام عن الخليفة المعز لدين الله ومؤسس الدولة الفاطمية بمصر ، ومثني القاهرة ، والجامع الازهر ، ومفادها أن المعز لدين الله قد تعمد في احدى الكنائس القبطية أو بعبارة أخرى قد اعتنق النصرانية . وهي اسطورة أوردتها سرقص باشا سميككة في الفصل الذي كتبه في هذا التقويم عن الكنائس والاديار ، في كلامه عن كنائس دير أبي سيفين حيث يقول : « ان هناك كنيسة صغيرة بها احججة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ، ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تعمد فيها سرأ » كذلك وقف القراء على ما نشره سرقص باشا سميككة في « الاهرام » دفاعاً عن هذه الاسطورة ورداً على ما نقدها به احمد زكي باشا . وكنا نود ونحن في شغل شاغل بما نخوضه من مسائل عامة أصبحت تظفي على كل ما عداها ، أن نترك مثل هذا الجدل لمن هم أكثر منا فراغاً ومن توجب عليهم مرا كزهم وصفاتهم أن يتقدموا للدفاع عن الاسلام وتاريخه كلما رماه المتعصبون أو الجهلاء بمثل هذه الفرية . ولكن « السياسة » لم تستطع ، وقد كان لها شرف هذه المواقف غير مرة ، أن تقف جامدة ازاء هذه الفرية الخطيرة التي يملئها سوء النية قبل أن يملئها سوء الجهل والتعصب ، والتي يراد بها أن تلوث الى الابد ذكرى امام من أعظم أئمة الاسلام ، وخليفة من اعظم خلفائه تحت ستار التاريخ والرواية ، ولو ان سرقص باشا سميككة كان ينطق عن علم صحيح ، وكان يستند الى أدلة ووثائق جديده لما كان لنا أن نعترض عليه ، لان الأمر عندئذ لا يتعدى البحث التاريخي والجدل العامي ، والبحث حر ، ونحن أول من يقدر حرية ، ولكنه وهو يقدم أسطوره دون سند الا أقوال بعض القسس الجهلاء ، ويصر عليها بما يتم عن الحقد والتعصب الدفين ،

ويدسها في تقويم رسمي تصدره الحكومة المصرية الاسلامية على نفقتها ، فان الامر  
وجهة أخرى هي التي نريد أن نشير اليها اليوم في هذه الكلمة  
لم نسمع ولم نعرف أن مرقص سميكة باشا كان يوما من أولي العلم والبحث  
المتين ولم نسمع بالخاص أن له من علمه ما يسمح له أن يؤرخ للمسلمين وان يخوض  
في مباحث التاريخ الاسلامي . وكل ما عرف عنه أنه من المهتمين بالآثار الكنسية  
القبطية . وهو شأنه في هذا الميدان . ولتكن أساطير الكنائس والاديار القبطية  
ماشاءت الاسطورة . وليعتقد القسس الاقباط في الاسلام وتاريخه ماشاءوا ، فالتاريخ  
قائم يزدرى كل الاساطير ويسخر منها ، ولكن متى تقدم الى الميدان رجل مثل  
سميكة باشا ، يزعم أنه يتكلم بلسان التاريخ والبحث العلمي ، فانه يحق للمسلمين  
أن يحاسبوه على ما يلصقه بالاسلام وأبطاله من مزاعم ، وان يطالبوه باقامة الحججة  
العلمية القاطعة حرصا على التاريخ القومي أن يشوهه جهلاء متعصبون كأمثال الباشا  
يحتمون بثبائهم المدنية ، وهم في الواقع يجمرون قلوب المبشرين والقسس ، بل هم  
أشد حقداً على الاسلام وتاريخه وحضارته ولغته . وليعذرنا مرقص سميكة باشا أن  
نعتبه بالتعصب والجهل . فانه هو الذي قدم هذه الشهادة على نفسه أولاً بما أبداه من  
قصور شنيع في التدليل على صحة الاسطورة التي دسها في تقويم الحكومة ، اذا كتفي  
بالاعتماد في نقلها على ما نقله الاستاذ بتار في كتاب « كنائس مصر القبطية القديمة »  
عن خادم احدي كنائس دير أبي سيفين وقد نقل أقواله على سبيل الاسطورة  
والقصة ، ولكن الباشا يعود فينتقلها على سبيل التدليل والاستشهاد ، أو بعبارة أخرى  
يريد الباشا أن يستند في زعمه على قول خادم الكنيسة ثم لا ينجل من أن يقول  
بعد ذلك : « ان الرواية متواترة من مئات السنين ولو كلف صديقي احمد زكي  
باشا نفسه وذهب الى هذه الكنيسة الاثرية لدله خدامها الى معمودية  
السلطان المعز » (١) ولم يعتمد فوق ذلك الا على عبارة أخرى في نفس المعنى  
لقس آخر في كتاب له عن الكنائس ، فكان الباشا يريد أن يتلقى المسلمون  
تاريخهم من خادم الكنائس القبطية ، هذا وثانياً فان سميكة باشا يصبر رغم هذا

الهديان الذي يديه في التدليل والاستشهاد ، على روايته ، مما ينضح بعد جهله عن تعصبه العميق .

ولن تقف في دحض اسطورة الجهلاء المتعصبين عند هذا الحد ، بل سنعود غداً أو بعده الى اثبات سخفها واختلافها بالادلة والوثائق التاريخية . مكتفين اليوم بإيراد هذه الكلمة التي وصف بها الاستاذ بتلر في مقدمته أولئك الذين يروجون هذه الاساطير أمثال سميكة باشا واضرايه وهي : « والواقع أن قليلاً جداً من الاقباط يعرفون شيئاً عن تاريخهم أو رسوم دينهم ، أو يستطيعون تعليل الامور التي يشاهدونها في طقوسهم اليومية ، فاذا سئلوا عن نقطة تتعلق بالطقوس أجابوا عادة بمن الرأس أو بجواب ظاهر الخطأ يتم عن الجبل ( ١ ) » غير اننا نحب أن نسائل في نفس الوقت شيخ الازهر وأساتذته عن رأيهم في هذا التعجبي على ذكرى مؤسس الازهر، وهل يليق بهم أن يلتزموا الصمت حيال هذه الفرية التي يراد بها أن يكون مؤسس الازهر نصرانياً تعمد ودفن في كنيسة قبطية ، ثم ألا يرون أن العناية بدحض هذه القرية وأمثالها مما يدس الى تاريخ الاسلام ، اجدى في الدفاع عن الاسلام وتاريخه وحضارته من كثير من مواقفهم المعروفة ؟ ونحب من جهة أخرى أن نسائل حكومة مصر الاسلامية كيف يجوز لها أن تطبع على نفقة الدولة تقويماً يحتوي على مثل هذه القرية فتجعل مما يروجه خدمة الكنائس القبطية رواية متداولة ؟ وهل لو كان ثمة اسطورة كنسية بأن غير المعز من خلفاء الاسلام كأبي بكر أو عمر أو علي قد تنصروا بل لو نسبت هذه القرية الى بني المسلمين ( صلعم ) ذاته اكان يسمح لامثال سميكة باشا بأن يكتبوها في تقويم الحكومة ، وكانت مع ذلك تفلت من رقابة المكلفين بالاشراف على اصداره ان كان ثمة من يشرف على هذا الاصدار ؟ ومن العبث ان يعتذر بأن هذا التقويم قد سبق ان طبع مرة أو اكثر محتويًا لهذه القرية فان خطأ الذين يوكل اليهم الاشراف على اصداره في اهلل مراجعته يجب الا يتكرر . ولا احتجاج بسوابق الاهلل والخطأ . انا قدس حرية الرأي والبحث العلمي ولكن خدمة الكنائس والادلاء ليسوا علماء ، وليست أساطيرهم مما يصح أن يكون

( ١ ) كتاب كنائس مصر القبطية القديمة لا لفردي بتلر ( المقدمة ص ٩ )

مستقي للتاريخ ، والتاريخ الاسلامي بصفة خاصة ، وليس مما يسبغ عليها قيمة الرواية أن ينقلها بعض الجهلاء ، المتعصبين من غير رجال الدين ، ولو أن سميكة باشا كتب ما كتب في كتاب خاص لم يطبعه الطابع الرسمي ، ولو لم تكن الحكومة هي التي نشرت له هذه القرية في تقويمها ، لما عنيانا به أكثر من عنايتنا بمبشر -هقود متعصب ، ولهذا رأينا من واجبا أن نلفت نظر الحكومة الى خطورة هذا التهجم على التاريخ الاسلامي ، وان ندعو شيخ الأزهر ورجاله ، الى الدفاع عن ذكرى مؤسس الأزهر من أن تلحق بها هذه الوصمة الخالدة ، معولين مع ذلك على أن نعود الى دحض هذه الاسطورة وتبيان ما يطبعها من دجل وتعصب وجهل سهيق .

ونشرت جريدة السياسة يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٣١ مقالة بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان هذا نصها

### اسطورة نضير المعز لدين الله

#### جناية على التاريخ والحقيقة

وجه مرقص باشا سميقة في النصل الذي كتبه عن الكنائس والاديار القبطية في تقويم الحكومة لهذا العام ، مهمة خطيرة الى خليفة من أعظم خلفاء الاسلام ، هو المعز لدين الله الفاطمي مؤسس الدولة الفاطمية في مصر ، ومنتشئ القاهرة عروس الامصار الاسلامية ، والجامع الازهر معتقل التفكير الاسلامي ومنازته في العصور الوسطى . فذكر في كلامه عن الآثار القبطية في كنائس دير أبي سيفين ما يأتي : « ان هناك كنيسة صغيرة بها أحجبة من العصر الفاطمي تحلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين وعمودية يقال ان المعز لدين الله تعمد فيها سراً » ( تقويم الحكومة ص ١٧١ ) وقد اعتمد سميقة باشا في اثبات هذه الرواية على نصين أوردهما في مقال له نشر في الاهرام في ٨ أغسطس الجاري رداً على ما كتبه زكي باشا في اهرام ٨ أغسطس في هذا الموضوع وهما :

الاول — عبارة وردت في كتاب الاستاذ الفردنتلر عن كنائس مصر القبطية القديمة ( THE ANCIENT - COPTIC CHURCHES OF EGYPT ) هذه ترجمتها : « وفي هذه العمودية طبقاً لاسطورة القسيس ( أعني قسيس الكنيسة ) عهد السلطان المعز حينما ارتد الى النصرانية » ( ج ١ ص ١١٧ )

والثاني — عبارة وردت في كتاب قسيس قبطي عن تاريخ الكنيسة اسمه « الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة » هذا نصها : « قيل ان المعز بعد حادثة جيل المقطم نحل عن كرسي الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين » .

وبضيف سميقة باشا الى ذلك ، ان هذه الرواية متواترة منذ مئات السنين ، وفي وسع المعارضين أن يذهبوا الى تلك الكنيسة الاثرية فيعلم خدامها على هذه العمودية التي تسمى بعمودية السلطان المعز .

هذه هي النصوص التي يعتمد عليها سميكة باشا في تأييد الاسطورة القبطية القائلة بتنصير المعز لدين الله وهي نصوص لا تستحق أن توسم بالادلة والمراجع ، وليست لها أية قيمة في الاثبات غير اننا مع ذلك نتناولها بشيء من الرد لاعلى انها أدلة مؤيدة يجب نقضها ، بل على أنها بذاتها قرائن على سخف الرواية ومبلفها من الركاكة والسقم .

فأما النص الاول وهو عبارة الاستاذ بتلر ، فقد أوردنا نقلا عما سمعنا من قسيس كنيسة القديس جبريل احدى كنائس دير أنى سيفين ، ولم يوردها من عنده . واحتاط في ذكرها فوصفها بأنها اسطورة أو قصة خارقة (LEGEND) ولكن سميكة باشا اقتصر على نقلها محرفة للاستشهاد ، مع ان الاستاذ بتلر يهود فيورد « الاسطورة » كلها في مكان آخر طبقا لما سمعها من قسيس الكنيسة أثناء زيارته لها وهذه هي : « سمع الخليفة المعز ، مؤسس القاهرة ، كثيراً عن حياة النصارى الروحية ، وعن اخلاصهم لنبيهم ، وعن الامور العجيبة التي يحتويها كتابهم المقدس فأرسل الى كبير النصارى والى كبير شيوخ قومه ، وأمر باجراء تلاوة رسمية أولاً لانجيل المسيح ثم للقرآن ، وبعد ان سمع كلا منهما بعناية شديدة قال بمنتهى العزم « محمد مفيش » اي ان محمداً لا شيء . أولاً وجوده ، وأمر بهدم المسجد الواقع أمام كنيسة الانبا شنوده ، وأن تبنى مكانه أو توسع كنيسة أنى سيفين . ولا زالت بقايا هذا المسجد موجودة بين الكنيستين . وزاد القسيس على ذلك ، ان الخليفة المعز نصر ، وعمد بعد ذلك في مكان التعميد الواقع بجوار كنيسة القديس يوحنا (مار جورج) (ج ١ ص ١٢٦)

والاستاذ بتلر ينقل هذه القصة كاسطورة (LEGEND) لها علاقة بتاريخ بنيان هذه الكنيسة لاعلى انها واقعة تاريخية لها أية قيمة . وهي تنطق بذاتها بسخف ما ورد فيها واستحالة ، ومن السخرية أن تقدم في معرض البحث التاريخي والاثبات العلمي ، وامل سميكة باشا نفسه شعر بسخفها فأثر ألا يوردها واكتفى باقتضاب النص الذي نقله .

وأما النص الثاني الذي ورد في كتاب الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة (فلا يخرج أيضاً عن كونه خرافة كنيسية مما يتناقله القسس . وليست قيمته في

الاثبات أكثر من النص الاول . غير انه يقدم الاسطورة بشكل آخر ويقرنها بوقائع معينة ، فيقول ان المعز « بعد حادثة المقطم » نزل عن الخلافة لابنه العزيز « وتنصر ولبس زي الرهبان ، » وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين « ويصح أن نشير الى حادثة المقطم هذه فقد أوردتها بتل أيضا في بدء كلامه عن تاريخ كنيسة أبي سيفين وروى فيها كذلك بأنها اسطورة شارقة (LEGEND) وخلاحتها « ان الخليفة سمع بانه قد ورد في انجيل النصارى ان الانسان اذا كان مؤمنا فانه يستطيع أن ينقل الجبل بكلمة فأرسل الى ابراهيم ( ابرام ) البطريق وسأله عما اذا كانت هذه القصة العجيبة حقيقية فأجابه بالإنجاب فعندئذ قال له « قم بهذا الامر أمام عيني والاسحقت اسم النصرانية ذاته » فدعر الرهبان وعكفوا على الصلاة في كنيسة المعلقة ، وفي اليوم الثالث رأى البطريق العذراء في الحلم تشجعه ، فقصد في موكب كبير من النصارى وهم يحملون الاناجيل والصلبان الى المكان المعين حيث كان الخليفة وحاشيته ، وبعد ان صلى البطريق رفعت الاناجيل والصلبان على دخان البخور ، ودعوا جميعاً قاهتز الجبل وانتقل ! وعندئذ وعد المعز « ابرام » بأن يمنحه كل ما طالب وأذن له في بناء كنيسة أبي سيفين ( ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٧ )

ويستنتج الاستاذ بتل من مقارنة هذه الاساطير بأن الكنيسة « قد بنيت أيام المعز حوالي سنة ٩٨٠ » وهو استنتاج يؤيد سميكة باشا بما نقله في مقاله من أن ابرام السرياني المشار اليه رسم بطريقا في سنة ٩٧٥ ميلادية على مارواه ساويرس اسقف الاشمونين في كتاب « تاريخ البطارقة » . ولا يراد هذا التاريخ أهمية سنمود البيا

\*\*\*

اذا يكون الزعم بتصوير المعز لدين الله قائما على اساطير كنسية فقط لاسندها من التاريخ وفي ذلك وحده ما يكفينا مؤونة دحضها لأنها منارة من تلقاء نفسها . ولكن سنرى أيضا أنها تناقض الحقائق التاريخية الثابتة .

دخلت الجيوش الفاطمية بقيادة جوهر الصقلي مصر في ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ( ٧ يوليه سنة ٩٦٩ م ) . ووضعت خناط القاهرة في نفس الليلة بأمر الخليفة المعز كما اختط الجامع الازهر بعد ذلك بأشهر ( جهادى الاولى سنة ٣٥٩ ) ولكن

المعز لم يقدم الى مصر الا بعد ذلك بأربعة أعوام ، بعد ان أنشئت المدينة الجديدة واعدت لنزوله واستتب النظام وتوطد الملك الجديد ، فدخل مصر بأهله وأمواله في ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ ( منتصف يونية سنة ٩٧٣ م ) ، ولم يطل ملكه بها أكثر من عامين ونصف عام اذ توفي في ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٦٥ ( ٢٠ ديسمبر سنة ٩٧٥ م )

ولم يكن فتح مصر غنما سياسيا لبني عبيد ( الفاطميين ) فقط بل كان غنما للدعوة الشيعية التي لبث بنو العباس يطاردونها زهاء قرنين ، والتي رفع لواءها عبيد الله المهدي جد المعز الاكبر وبدأت ظفرها السياسي بافتتاح المغرب . فكانت مسألة الامامة ما تزال سند الفاطميين ، وكان ملكهم الجديد بمصر يصطبغ بنفس الصبغة الدينية العميقة التي حملت لواءهم الى المغرب ، وكانت فورة القرامطة التي امتدت يومئذ نحو الشام تهدد دعوتهم وملكهم في مصر . فكان عليهم أن يؤيدوا هذه الدعوة وأن يثبتوا قدسيتها ونقاءها فيثبتوا بذلك في وجه المنكرين لنسبتهم وشرعية دعوتهم ، أنهم كما يدعون ، سلالة فاطمة ابنة الرسول ، ( صلعم ) وولد علي . ولهذا نرى المعز لدين الله حين مقدمه الاسكندرية يقول لوفد المصريين الذي ذهب للقاءه « انه لم يسر لازدياد في ملك ولا رجال ولا سائر الارغبة في الجهاد ونصرة للمسلمين » (١) ونراه في مواكبه وشعائره الدينية حريصا على مظاهر الامامة ، يبدو اماما دينيا أكثر منه ملكا سياسيا . واليك بعض هذه المظاهر شاهدها وسجلها الفقيه الحسن بن ابراهيم بن زولاق المصري ، صديق المعز ، ومؤرخ سيرته :

(١) قال ، لما وصل المعز الى قصره خر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته

كل من دخل (٢)

(٢) في يوم عرفه نصب المعز الشمسية التي عملها للكعبة على ايوان قصره

وسعتها اثنا عشر شبرا في اثني عشر شبرا وأرضها ديباج أحمر .. وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفي دورها كتابة آيات الحج بزمرد أخضر (٢)

(١) اتعاظ الحنفاء للمقرئ ص ٨٨

(٢) المقرئ عن ابن زولاق — في اتعاظ الحنفاء ص ٩٠

(٣) ركب المعز يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة « وخطب وأبلغ وأبكى الناس ، وكانت خطبته بخشوع وخشوع .. » (١)  
(٤) « غدا المعز للصلاة في عيد النحر بعسا كره وصلي كما ذكر في صلاة الفطر من القراءة والتكبير وطول الركوع والسجود » (٢)  
بل كانت الامامة النبوية صفة رسمية للمعز لدين الله ، دعي له بها في أول جمعة رسمية اقيمت سنة ٣٥٨ هـ وفي الجامع العتيق ( جامع عمرو ) وجاء في خطبتها :  
« اللهم صل على عبدك ووليك ثمرة النبوة وسليل العزة المهدي عبد الله ( الامام )  
معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين كما صليت على آباءه الطاهرين واسلافه  
الائمة الراشدين .. » (٣)

وبلغ من قوة هذه المظاهر ان كان المعز يوسم كالانبياء بقولهم « عليه السلام »  
« و صلوات الله عليه » (٤)

و كان نقش خاتم المعز « لتوحيد الآله الصمد دعا الامام معد لتوحيد الآله  
العظيم دعا الامام ابو تميم »

أوردنا هذه الوقائع لنبين كيف كان المعز لدين الله حريصاً كل الحرص على  
صفته الدينية ، وعلى مظاهر الامامة ، وكيف كانت الصيغة الدينية العميقة تطبع سياسة  
الدولة الفاطمية في مفتح عهدها بمصر ، خصوصا وان هذه الصيغة لم تكن بمنجاة من  
المطاعن او كان هذا الطعن يتناول صحة نسب العبيدين الى آل البيت وشرعية  
امامتهم وتعاليمهم . وقد أخذ قبل بعيد صيغة سياسية رسمية . ففي سنة ٤٠٢ هـ أصدر  
بلاط بغداد في عهد الخليفة القادر بالله محضراً رسمياً موقفاً عليه من كبار الفقهاء ،  
والقضاة وبعض الشيعة يتضمن الطعن في نسب الفاطميين خلفاء مصر ، وأهمهم ليسوا

( ١ ) المقرئزي عن ابن زولاق — في الخطط — ( ج ١ ص ٣٨٥ )

( ٢ ) المقرئزي — اتعاظ الخلفاء ص ٩٢

( ٣ ) المقرئزي — اتعاظ الخلفاء ص ٩٤

( ٤ ) المقرئزي عن ابن زولاق — الخطط ج ١ ص ٤٧ — وابن زولاق

نفسه في كتاب أخبار سيويه المصري (مخطوط بدار الكتب رقم ٣٥٤ تاريخ)

من آل البيت بل هم ديصانية ينتسبون الى ميعون بن ديسان ، بل أنهم كفار زنادقة وفساق ملاحدة أباحتوا الفروج وأطوا الخمر وسبوا الانبياء وادعوا الربوبية (١) وفي سنة ٤٤٤ هـ ، كتب يفتاد محضر آخر يتضمن نفس الطعن ، ويزيد فيه ان الفاطميين يرجعون الى أصل يهودي أو مجوسي (٢)

ومسألة الطعن في نسب الفاطميين هذه والطعن في شرعية اماماتهم وتعاليمهم مشهورة في التاريخ الاسلامي (٣) وهي ليست موضوعنا ، ولكن لم يقل أحد من خصومهم قط ان المعز لدين الله تمدد أو تنصر ، ولو صححت هذه الاسطورة ، بل لو جرت فقط مجرى الاشاعة أو التهمة ، لما غفل عنها العباسيون فقط ، ولأثبتوها في مطاعنهم الرسمية ، وروجها مؤرخوهم ، ولما كرها أكثر من مؤرخ مسلم ، ولكن اجماع الرواية الاسلامية على تجاهلها

— ٢ —

ننتقل بعد ذلك الى منطوق الوقائع المادية :

ان الاسطورة القبطية لا تحدثنا متى تمدد المعز وتنصر . ولكن قس كتاب الخريدة يروي انه أي المعز بعد حادثة جبل المقطم ، تخلي عن الخلافة لابنه العزيز وتنصر ولبس زي الرهبان «

قد رأينا أن حادثة المقطم هذه ، قد وقعت على قول الاسطورة القبطية ، وكما يقرر الاستقف ساويرس في كتاب « تاريخ البطارقة » على يد البطريق ابرام ( افرام ) الذي رسم بطريقا في سنة ٩٢٥ م (٤) ، وانه ترتب على وقوعها ان أذن

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٤٢ — و ابو الفدا ج ٢ ص ١٤٣

(٢) ابن الانبرج ج ٨ ص ٥٠٢

(٣) يراجع ذلك بالاختصاص ابن الاثير ج ٨ ص ٩ وخطط المقرئ ج ١

ص ٣٤٨

(٤) يراجع كتاب الاستاذ بترلر ج ١ ص ١٢٥ ومقال سميكة باشا المنشور في

اهرام ٨ اغسطس الجاري .

المعز للطريق ببناء كنيسة أبي سيفين ، فبقيت « حوالي سنة ٩٨٠ في عهد المعز » (١) ومعني ذلك أن معجزة الجبل لا بد أن تكون قد وقعت قبل ذلك بقليل أعني نحو سنة ٩٧٩ أو سنة ٩٧٨ على الأكثر . فإذا علمنا نحن أن المعز لدين الله توفي في ديسمبر سنة ٩٧٥ (ربيع الثاني سنة ٣٦٥ هـ) ، تحتنا بطريقة مادية حاسمة كذب الأسطورة الكنسية لأن المعز توفي قبل حدوث المعجزة المزعومة بثلاثة أعوام أو أربعة على الأقل .

والحقيقة التاريخية هي أن المعز لدين الله أذن للطريق إبرام يتمير كنيسة القديسة مرقوريوس والمطقة بالفسطاط . لا إيماناً بأية معجزة قبطية ، ولكن جرباً على سياسة التسامح التي اتخذها إزاء رعاياه غير المسلمين . فقد كان يحسن معاملة النصراني واليهود ، وكثيراً ما كان ساويرس ( سيفروس ) اسقف الأشمونين ، يجادل الفقهاء المسلمين في مسائل الدين (٢) وقد اتخذ المعز وزيراً يهودياً هو يعقوب ابن كلس وأولاه نفوذاً عظيماً . وقد كانت التسامح الديني سياسة مقرررة للإسلام . في معظم الدول الإسلامية . وقد كان تسامح المعز ، تسامح القادر المستنير . ولكن الأساطير الكنسية شاعت أن تجعل منه محاباة مقصودة . وزيفاً من الخليفة القادر إلى تعاليم النصرانية . فإذا لقيت الكنيسة خليفة عسوقاً متعصباً كالطاهر بأمر الله يذمها ويسحق عزيمتها . خرست أساطيرها واكتفت بأن ترميه بالوحشية والتعصب .

تقول الأسطورة الكنسية أن المعز بعد أن نزل عن الخلافة لابنه العزيز تنصر وترهب ودفن بكنيسة أبي سيفين . فتهي وقع ذلك ؟ إن المعز لم ينزل عن الخلافة أثناء حياته قط ، بل توفي وهو خليفة ، وكان ابنه العزيز ولي عهده حتى وفاته وكانت وفاته في ١٤ ربيع الثاني سنة ٣٦٥ (ديسمبر سنة ٩٧٥ م) ، بالقصر الناطمي بالقاهرة المعزية بعد مرض طال عدة أسابيع ، فبويع ولده بالخلافة في نفس

(١) الأستاذ بتلج ١ ص ١٢٧

(3) WUSTEN FELD: GESCHICHTE DER FATIMIDEN  
P. 127

اليوم (١) ودفن المعز لدين الله في نفس القصر الفاطمي بتربة الزعفران أو التربة المعزية التي كانت قطعة من القصر الكبير والتي اودعها المعز يوم قدومه الى مصر توابت أجداده (٢) أما زعم الاسطورة الدينية أن المعز قد دفن بدير أبي سيفين فإنه ينقضها من أساسها ، اذ من ذا الذي تولى دفنه فيها ؟ أيكون الذي دفنه بالكنيسة ولده العزيز خليفة المسلمين من بعده ؟ أم دفنه القبط فيها بالقوة القاهرة ؟ . وان كان المعز قد تنصر سرأ فكيف يعقل أن يترهب جهراً وان يلتجئ الى كنيسة قبطية على مقربة من عاصمته ، وعلى مرأى ومسمع من أسرته وقادته وجنوده بل على مرأى ومسمع من العالم الاسلامي الذي يدعى امامته ؟ لخلق ان الاسطورة القبطية تنحط هنا الى حضيض من السخف والتناقض يخلق بالثناء بعد السخرية والاحتقار .

\*\*\*

وبعد فقد رأينا أن المعز قدم الى مصر من افريقية في سنة ٣٦٢ ( يونيه سنة ٩٧٣ ) وان خلافته لم تطل أكثر من عامين ونصف عام اذ توفي في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ . وكانت فورة القرامطة تهدد ملكه الجديد في مصر ودمشق ، وكان القرامطة قد زحفوا على مصر بالفعل في أوائل سنة ٣٦١ بقيادة زعيمهم الحسن الاعصم ونشبت بينهم وبين جيوش المعز بقيادة جوهر الصقلي معارك هائلة على مقربة من الخندق انتهت بهزيمتهم وارتدادهم نحو الشام . ولكنهم اجتمعوا ثانية وقصدوا دمشق وفيها ابن فلاح من قبل المعز ، فافتحوها واستولوا عليها ، ثم زحفوا ثانية على مصر بقيادة الحسن الاعصم أيضا ، فلقيتهم جيوش المعز على مقربة من بليس ، وهزمتهم وأمعنت فيهم قتلا . وذلك في أواخر سنة ٣٦٣ هـ . وكتب المعز الى زعيم القرامطة كتابا طويلا يدعوه فيه الى الطاعة والهداية ، ويشرح فيه

---

(١) هذه هي رواية المقرئزي الخطط ٢ ص ٢٨٤ ورواية ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة في حوادث سنة ٣٦٥) . — ولكن ثمة رواية أخرى تقول ان العزيز كموت أبيه حتي عيد النحر (ابن خلدون . ص ٥١ وابن الانبير ٨ ص ٢٢٠ و ابو الفدا ٢ ص ١١٦) غير أن المستشرق فستنفلد يستبعد هذه الرواية (٢) خطط المقرئزي ح ١ ص ٤٠٧

الدعوة الفاطمية وأصولها ، وهي وثيقة هامة تدل عباراتها وروحها على مبلغ حرص المعز على التمسك برسوم الامامة ، وأصول الدين . وهذا مستهلبها .

« من عبد الله ووليه وخيرته ووصفيه معد أبي تمام المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ونجى على افضل الوصيين الى الحسن ابن احمد ... بسم الله الرحمن الرحيم رسوم النطقا ومذاهب الأئمة والانبياء ومسالك الرسل والأوصيا السالف والآنف . منا صلوات الله علينا وعلى آباءنا . . . الخ » الرسالة تفيض بآيات التوحيد ومبادئه والتمسك بالقرآن واحكامه ، وتمجيد النبي (صلى الله عليه وسلم) وسنته (١) وهي بنائها وثيقة قاطعة ببراءة المعز عما تريد ان تصمه به الاسطورة الكنسية .

وكان المعز في تلك الآونة ينتابه المرض من آن لآخر ، وهو المرض الذي حمله الى القبر بعد ذلك . ولكنه مع ذلك كان دائم الاهبة لمجاربة القرامطة . وكان يرقب حوادث الشام ويتوق الى استرداد دمشق . وكانت الجيوش البيزنطية قد عاثت أيضا في شمال الشام ، فأرسل المعز جيوشه في جمادى الثانية سنة ٣٦٤ هـ فقاتلت الروم على مقربة من طرابلس وهزمتهم ( في شعبان ) ، ولكنهم عادوا فهزموا الفاطميين ونحاهموا مع أفتكين المتغلب على دمشق . فسار اليهم عندئذ ريان مولى المعز ومزق شملهم ، وفرح المعز لذلك أيما فرح ، واعتزم أن يشهر الحرب على أفتكين بشدة . ولكن المرض داهمه في أوائل سنة ٣٦٥ . وتلقى آخر مظاهر ظفره في الحرم حيث علم من الطاج القادمين من مكة ان الدعوة الفاطمية قد اعتنقت في الحجاز ، ودعي له على منابرها ( ٢ ) ثم عاجله الموت كما قدمنا ، في ربيع الثاني سنة ٣٦٥ .

وهكذا أنفق المعز عهده التصير بمصر في هروب ومشاكل مستمرة ، وبالاخص في الدفاع عن الدعوة الفاطمية الفتية ، وتوطيد دعائها ، فكيف أتيج له مع ذلك أن يتفرغ لمثل ما ترميه به الاسطورة الكنسية . من هذيان وسخف ؟ وأي ومتى

( ١ ) يراجع نص هذه الوثيقة بأ كمله في المقريري — اتعاظ الحنفاء —

ص ١٣٤ وما بعدها

أُتيح له أن يمجّب بالتعاليم النصرانية وان يتذوقها ثم ينتهي الى التنصر والترهب والاقامة في وكر من أوكار القساوسة ؟ وكيف يعقل ان المعز وهو يشتغل بتوطيد أمامته ودعوته ؟ يضربها بنفسه الضربة القاضية ويقم الدليل بردته على كذبها ونفاقها ؟ لقد كان للمعز ، على الاقل من بواعث الحكمة والسياسة القاهرة ، ان لم يكن من البواعث الروحية ، ما يجعله أشد الناس استمساكا بمامته ودعوته واسلامه وقد اجمع المؤرخون ، على أن المعز كان أميراً وافر العقل والحكمة ، وافر العزة والشهامة ، مستنير السياسة بعيد النظر ، فمن المستحيل عقلا أن يقدم أمير هذه صفاته على التأثر بلجل القساوسة ، والانغماس في حماة الاساطير الكنسية ، وكيف يقدم منشىء الازهر في فتوته على الارتداد في كهولته ؟ هذا منطق العقل والباطنة نضيفه الى منطق الحوادث والتاريخ الحق .

وأخيراً ، أيرى سميكة باشا أن تردد هذه الاسطورة على السنة القسس وخدمة الكنيسة دليل يصيح أن يطرح في ميدان البحث ؟؟ فتى كان خدام الكنائس مؤرخين يرجع اليهم ؟ ومتى كانوا بالاختصاص مؤرخين للاسلام والمسلمين ؟ على أننا نذكر بهذه المناسبة ان اساطير هؤلاء القسس قد زعزعت الايمان في كثير من مواقف التاريخ المسيحي ذاته . ويكفي أنها اسبلت حججاً كثيفا من الرب على تاريخ قبر المسيح ، وجعلت منه أسطورة كنسية وانتهى البحث ببعض أقطاب المؤرخين النصارى مثل جورج فنيلى الى انكار وجود هذا القبر الذي أنشئ بعد وفاة صاحبه بنحو مائتي عام ، ليكون مبعثاً لاساطير القسس ، وأضحى « القبر المقدس » رمزاً لا حقيقة . على ان القسس لا زالوا الى اليوم يعينون لك في كنيسة القيامة بيت المقدس وكنيسة بيت لحم ، مواضع بعينها شهدها المسيح صبياً ونبياً وآثاراً ارتبطت بتاريخه أو بصلبه . على أنك لن تجد مؤرخاً بمعنى الكامة بل فرداً عادياً سليم التفكير يقف ذرة عند شئ ، من هذه الاساطير رغم ما يراد أن يسبغ عليها من لون الرسمية والقدسية .

واعتقادنا ان سميكة باشا ، وقد انحدر في بحثه ان الاستشهاد باقوال خدام الكنائس ، يشمر اليوم بكل ما يشعر به مقدم هذا الدليل من خجل . على أن

الاستاذ بتلر ، وقد أصفى الى أساطير أولئك القسس في الكنائس القبطية التي زارها وخصها بمؤلفه قد أصدر حكمة في مقدمة كتابه على قيمة هذه الاساطير وقيمة روايتها ، في تلك الكلمة القوية .

« والواقع ان قليلا جداً من الأقباط يعرفون شيئاً عن تاريخهم أو رسوم دينهم ، أو يستطيعون تحليل الأمور التي يشاهدونها في طقوسهم اليومية ، فاذا سئلوا عن نقطة تتعلق بالطقوس أجابوا عادة بهز الرأس أو بجواب ظاهر الخطأ يتم عن الجهل (١) »

محمد عبد الله عنان

(١) الاستاذ بتلر في المقدمة (ص ٩)



في يوم ١٥ أغسطس سنة ٩٣١ نشرت جريدة وادى النيل التي تصدر  
بالاسكندرية الكلمة الآتية :

حول اسطورة المعز لدين الله

## سماحة الاسلام والاقباط

قرأت ما نشر بصحيفتي الاهرام والسياسة حول اسطورة الكنيسة القبطية عن  
الخليفة المعز لدين الله الفاطمي التي نشرها سميكة باشا بتقويم الحكومة المصرية  
واني لأعلم ممن وسعهم عطف الدين الاسلامي بسعته في قوله تعالى « ولتجدن  
أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا  
وأنتهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع  
مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتبنا مع الشاهدين » أعلم أنهم كانوا قبل  
بمئة محمد صلى الله عليه وسلم نصارى حقا بهذا المعنى الذي وصفه الذكر الحكيم ،  
ومنهم نصارى نجران ومنهم اقباط مصر في بدء الفتح الاسلامي أيام كان المقوقس  
ينصر عمرو بن العاص على الرومان فرحا بدخول المسلمين مصر واجلاء الرومان  
عنها ، وأيام أسلم من الاقباط بضعة ملايين لما حكم عمر على ابن عمرو بن العاص  
أمير مصر أن يطمعه القبطي في يوم الحج الاكبر أمام وجوه المسلمين ، كل ذلك  
أعلمه ونكنتي الآن أنكر كل الانكار أن على وجه الارض من يؤمن بعيسى عليه  
الصلاة والسلام عبد الله ورسوله وروحه الذي جعل الله الحمل به ووضعوه وما أظهره  
على يده معجزة اعجز بها أطباء عصره وعلماءه ، وأين هو من يؤمن بعيسى ممن يزعمون  
النصرانية في الشرق والغرب ؟

أنا لست أنكر على سواد النصاري الذين هم إمة بالنسبة لقادتهم من التساوسة  
الذين يقودونهم بالاساطير ليتمكنوا من السيطرة على العامة منهم . ولكنني لست  
أعلم لتلك السخائم في قلوب أمثال سميكة باشا سبباً يمت الى حقيقة دينية أو حق  
أثبتته العقل اللهم إلا هوى بيل بالقلوب بحسب القوة المتسلطة والاحداث الزمنية  
شاهد لي . فان نابليون لما دخل مصر وأظهر الاسلام كان معه قائد قبطي يدلله على

مواضع الضعف من الامة . وكان هذا القبطي يعلم ان نابليون انما أظهر الاسلام ليكيد أمة نجعل ان على وجه الارض شياطين في هياكل أناسي وصدق الله العظيم حيث يقول «شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا» ولما دخل الانكليز بلاد مصر . وكنت طالبا بالازهر أظهر بعض الاقباط شماتة وضيعة بالمسلمين وكان البطريك إذ ذاك الانبا كيرلس وكان رجلا يعلم ان الأمم باقية والحكومات فانية فطلب اليه أمثال سميكة باشا في زمان «بارنج كرومر» أن يطلب الى الانكليز حماية الاقلية القبطية فأبي عليهم وهددهم بالحرقمان والقوم لادين لهم . فسعوا حتى أسقطوه من البطريكية وطردهوه الى دير حقير . فدعتنا الفيرة يومها لمكانة احترامها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن بعده من الخلفاء الى زماننا . فتمتقا جماعة من طلبة الازهر واتحد بنا طلبة المدارس العليا وتوجهنا في مظاهرة الى سراي الخديوي السابق عباس باشا والي وزير الداخلية حيث كان المرحوم احمد باشا رياض رئيسا للحكومة ونشرنا المقالات الطوال على صفحات « المؤيد » وغيرها احتجاجا على نفي الرجل حتى اضطرت الحكومة أخيراً الى اعادته

إذن فنحن لا نعجب من قوم دعاهم الهوى تزلفا للقوة أن يؤذوا رجلا بيده حرمانهم من الملكوت على اعتقادهم . فيطردوه شر طردة الى دير مظلم وكيف لا والهوى أخو العمى ولولا ان الحكومة واثقة بمثل سميكة باشا لقلت غير هيب ان الرجل يعلم انه يرضي الحكومة بهذا العمل تقربا لأصحاب القوة في مصر الذين هم في حاجة الى عطف اربعمائة مليون مسلم في ظرف كهذا الظرف وبديهي ان أصحاب السلطة في الشرق الآن يسرهم أن يتكئوا على رجال من الشرق يؤلفون بهم الامم وقد يظن جاهل بحقائق النفوس ان سميكة باشا وأمثال الذين ينفرون المسلمين من الانكليز انما ينشرون مثل هذه الاساطير خدمة للشرق ليشيروا تاثير الشرقيين من المسلمين والنصارى والارثوذكس والكاثوليك ضد دعوة البروتستنتية التي يرتكز عليها المستعمرون في استعباد الامم فيحكم أن سميكة باشا بعمله هذا يفتح ابواب الفتن على الانكليز ولا يظن هذا الاغبي احق والحقيقة انه قد يغري المستعمرين بالمسلمين ويفتح باب فتنة يطير بها دعاة النصرانية بين العالم الاسلامي

ليحدثوا السذج وجهاوا أن أصغر مسلم بعد قوله لا إله إلا الله محمد عبد الله ورسوله يمقت  
كل المقت تلك الحزبيلات

على ان الشرقيين يعلمون حتى العلم وخصوصاً غير المسلمين ان الحياة الطيبة  
لا تكون الا اصلاح ذات البين بين المختلفين في الدين . وقد مضى على الشرقيين  
بضعة عشر قرناً وهم على وفاق تام يتعاونون على البر والتقوى وعلى الرخاء والبأساء  
المسلم في مسجده والنصراني في كنيسه وقاتل الله الاطماع والجلب بالمستقبل

وانى لا اعتقد ان الطمع في الزاني عند المتسلطين هو الذي حدا بأنصار دعاة  
النصرانية الذين هم في طلائع الجيوش الظالمة أن يقف خطبائهم على المنابر بالامس  
يؤذوننا فيمن نفيه بالارواح والاموال والاولاد . ثم يقوم اليوم بعدهم رجل يؤذينا  
بفشر كتاب باسم الحكومة المصرية المسماة يقول فيه ان خليفة من ملوك مصر  
تمصر غير هيباب من حجة التاريخ ولا من حكومة هو أحد موظفيها وعلى رأسها  
رجل أقل ما فيه انه مسلم يفار لدينه ، ولا من أمة احسنت الى النصراني في مصر كل  
الاحسان فجعلت منهم الوزير والقاضي والثري ولا من الحكمة المأثورة التي تقول :  
الحكومات بائنة والامة خالدة ، وهو في النهاية لا يخشى على قومه ومن بعده من  
حكم التاريخ القاسي الذي يجلبهم بالعار

كان من حق المجاملة على الاقل لو ان للاسطورة حجة أن يرعوى عن نشرها  
حفظاً لقلوب المسلمين بل صوتاً لكرامة ولي نعمته ومحافظه على شعوره فان نشر  
مثل هذه الاساطير ، يؤذي المشاعر حتى لو كانت صحيحة فكيف بها وهي قائمة  
على محض الاختلاق والتزوير ؟

وانا لنعلم معايب تأبى علينا رعايتنا الفضيلة وابقاء الصفاء بيننا وبين من اوصانا  
الله ورسوله بهم خيراً أذاعتها 11

ولكن سماحة الاسلام هي التي حملت اعداءه من المبشرين واذناب المبشرين  
على أن يتناولوا الى النيل من قدسيته ، والله غالب على أمره وسوف يظهر دينه على  
الدين كله .

محمد ماضي ابو العزائم

رمل الاسكندرية

## كلمة أخيرة

في رواية المعز لدين الله

أرسل اليها حضرة صاحب السعادة حرقص سميكة باشا الكلمة الآتية :  
نشرت السياسة مقالتين عن الرواية الخاصة بالخليفة المعز ليس في الأولى منهما سوى عبارات أرادت بها النيل من شخصي فأتهمني بالجهل والتعصب والحقد والذس وسوء النية الى آخر ما شاء لها أدهمها أن تلتصق بي . وليس عندي ما أرد به على هذه الشتام الشخصية التي لا تدخل بطبيعة الحال في موضوع البحث سوى أن أقول لها اني ما ادعيت قط . اني عالم وما أنا الا طالب حقيقة اهدل في سبيلها كل ما استطيع بدله من جهد وأحمد لمن يرشدني اليها فضله . كما انه ليس من المعقول أن يتمم بالتعصب رجل قضى نحو ثلاثين سنة في خدمة الجوامع والمساجد الاثرية في لجنة حفظ الآثار العربية وشرفه زملاؤه ومنهم من هم أكبر منه مقاماً وأغزر علماً بانتخابه رئيساً للقمم الفني في هذه اللجنة

أما المقالة الثانية التي نشرتها السياسة بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان فجوابي على ما تضمنته هو ان كل ما نسج اليه معشر الاثريين هو تجديد تاريخ كل أثر وبندل المستطاع في هذا السبيل . فالآثار الفرعونية كالأثار العربية بنيت كلها تقريباً في عهد ملوك أو سلاطين تمشوا أسماءهم عليها وتاريخها لهذا السبب معروف بالضبط أو بوجه التقريب . ولكن الآثار القبطية تختلف عنها اذ لا يعرف تاريخ الجانب الأكبر منها الا بطريق الاستنتاج . ولذلك يستعان أحياناً بالروايات التي يرد بها ذكر ملك أو سلطان على الوصول الى معرفة تاريخها . واذا ذكرت تلك الروايات فأنما تذكر لهذا الغرض وحده . وبهذا الاعتبار ذكرت الرواية الخاصة بمعمودية كنيسته أبي سيفين لورود اسم المعز بها . أما موضوع هذه الرواية وهل هو صحيح أو باطل فلم يكن هو المقصود بذكر الرواية المشار اليها . وقد أوضحت هذه الحقيقة لاحد حضرات وكلاء الوزارات في حديث دار بيننا قبل ان يكتب الاستاذ عنان في الموضوع ، والظاهر ان جميع الذين اطعموا على هذه العبارة في التقويم منذ سنتين فهموا أن ليس المراد بها سوى وصف الاثر الذي اقترن بها لا موضوع الرواية فلم

يجدوا فيها ما يدعو الى أي اعتراض عليها . وإذا كنت قد ذكرت بعض المصادر التي ذكرت هذه الرواية قبلي ، فلنكي أنني عن نفسي تهمة اختلاق .  
هذا ما أستطيع أن أقوله رداً على مقالتي السياسة راجياً أن يكون آخر ما يكتب في هذا الموضوع  
مرقص سميكة باشا



نشرة جريدة الاهرام مقالة بقلم الاستاذ الشيخ محمد عرفه هذا نصها :

### المعز لدين الله واسطورة تنصهره

ينبغي لدارس التاريخ أن يكون أمام ما يزاول من قضاياها كالصيرفي الماهر لا يروج عليه زائف . ولا يفتق عنده بهرج . وأن يعلم أن من اخباره الصادق والكاذب ومن قضاياها الحق والباطل وأنه ان أخذ بمجرد الرواية دخل عليه من الكذب الشيء الكثير وكان كحاطب ليل ربما احتطب في حبله ما يريد وما لا يريد وأنه لن ينجيه من التورط في الغلط الا حسن التثبت وعرض روايات التاريخ على العقل وطبيعة العمران وقواعد العادة فما خالف شيئاً من ذلك طرح وبهرجه .

لو جرى صاحب السعادة مرقس سميقة باشا على هذه الشروط التي ذكرنا لكفانا مؤنة تفنيد هذه الاسطورة التي عزاها الى المعز لدين الله الفاطمي فقد كتب سعادته في تقويم الحكومة عند الكلام على الآثار القبطية في كنائس مصر ما يأتي :

( ان هناك كنيسة صغيرة بها اهجبة من العصر الفاطمي محلاة بنقوش بارزة تمثل القديسين ومعمودية يقال ان الملك المعز لدين الله تمهد فيها سرّاً )  
وقد ناقشه حضرة صاحب السعادة احمد زكي باشا في نسبة التنصر الى المعز لدين الله فدكر مرقس باشا انه اعتمد على نقلين احدهما « لبتلر » في كلامه على كنائس مصر ونصه : ( وفي هذه المعمودية عهد السلطان المعز حين ارتد الى النصرانية ) والثاني كتاب الخريدة النفيسة في كتاب الكنيسة لتسيس قبطي ونصه ( قيل ان المعز بعد حادثة جبل المقطم تخلى عن كرسي الخلافة لابنه وتنصر ولبس زي الرهبان وقبره الى الآن في كنيسة أبي سيفين )

وقد زعم الباشا ان هذه الرواية متواترة من مئات السنين ونحن ننتقد على الباشا أمرين أولهما انه نقل هذه الرواية واعتمد فيها على مجرد النقل من مؤرخي الكنيسة ولو ثبت فيها وطبق عليها أول علامة الخبر الكاذب وأجال فيها عقله لبان له كذبتها. والثاني انه زعم أنها متواترة وذلك اما ناشئ من

عدم معرفته معنى التواتر أو من انه أراد أن يقال لظفي قضايا التاريخ وسأين لسعادة  
الباشا والقراء فساد هذين الامرين

الامر الاول ذكر علماء النقد ان من علامات كذب الخبر أن تتوافر  
الدواعي على نقله ثم لا ينقل الا بطريق الآحاد ولا تنقله الجماعة المستفيضة بل يتفرد  
به الآحاد ولا تنقله الجماعة المستفيضة بل يتفرد به واحد ومثال ذلك أن يكون قوم  
في مسرح في ليلة واحدة ثم ينقل واحد منهم أن أحد النظارة قبل أحد الممثلين  
بذبحه بسكين على المسرح ثم لا ينقل هذا الخبر غيره ممن حضر التمثيل هذه الليلة  
فيقطع بكذب الخبر اذ لو وقع لتوفر الدواعي على نقله من الكثير ولم يختص واحد  
بحكايته اذ العادة تخيل ذلك . وحكاية تنصر المعز من هذا القبيل اذ لم ينقلها أحد  
من المؤرخين المسلمين لامن اعداء الدولة الفاطمية ولا من المشيعين لها وانفرد  
بروايتها هذا القسيس صاحب تاريخ الكنيسة والفرد بتلر نقلا عن خادم الكنيسة  
مع أنها مما تتوافر الدواعي على نقله لما يحيط به من الغرابة ولأنه خبر نادر لم يحك  
مثله التاريخ

خليفة مسلم يحكم كثيراً من الاقطار الاسلامية يتغلى عن كرسي الخلافة  
ويتنصر ويلبس زي الرهبان ويدفن عند موته في كنيسة أبي سيمين ، يكون هذا  
كله ثم لا ينقل هذا الخبر مؤرخ من مؤرخي العصر وهم كثير وينفرد بروايته قسيس  
قبلي ، فرد واحد لا أقل ولا أكثر ، هذا مما يقطع بكذبه ، أين كان مؤرخو هذا  
الضر ؟ وأين كان مؤرخو الدولة الفاطمية ؟ وأين كان مؤرخو المعز لدين الله ؟  
كل هؤلاء يجمعون على اغفال الحادثة مع أنهم لم يفعلوا ما هو أقل منها شأننا من  
شؤون المعز واخبار الدولة الفاطمية

ليس المعز خامل الشأن ولا مغمور المكان ولا هو واحداً من غمار الناس  
وليس الحوادث قابل للخطر ، بل هو شديد الخطر عظيم الوقع لأنه ارتداد خليفة  
مسلم عن الاسلام الى دين النصراني ولبسه زي الرهبان ودفنه في كنيسة المسيحيين  
ولعل قائلاً يقول ان اصدقاء الدولة الفاطمية كتموا ذلك خوف العار وانتقاض  
المملكة فنقول وأين كان المؤرخون رعايا الدولة العباسية اعداء الفاطميين وهم كانوا  
يسخون جاهدين عن معايب يلصقونها بالدولة الفاطمية .

ان العباسيين قد عيوا بأمر الفاطميين وعضوا بمكلمهم وخافوا منهم على دولتهم  
وقد قاسمهم الفاطميون ممالك الاسلام وكانوا شجى في حلق الدولة العباسية وقضى  
في عينها وكان العباسيون يحاربونهم بالدعاية الدينية فتارة ينفون نسبهم عن آل البيت  
( بيت الرسول ) ومجهلونهم أدياء وغلين فيهم ويشهدون على ذلك العلماء وكبار  
الدولة وتارة يرمونهم بالاحاد والكفر فلم يتركون هذه التهمة لا يلجون عليهم منها ؟  
ولم يتركون هذا المقتل وقد كان لهم باديا ويلجأون الى نفي نسبهم وهو مالا يسده  
لهم التاريخ ؟

لو قاس سعادة الباشا الغائب على الشاهد لقطع معنا بكذب هذه الرواية .  
يفرض ان الباشا قد اعتنق دين الاسلام ونزل عن كرسي الفانيكان ولبس  
زي العلماء الازهريين ( الحجة والعمامة ) ولزم الازهر حتى مات ودفن فيه أ كانت  
تخرس ألسن الرواة والمؤرخين فلا ينقل هذا الخبر إلا واحد من رجال الازهر  
وبعض خدمته أم تستفيض بنسب الاخبار ويتحدث به الركبان في الآفاق وينقله  
الجمع الكثير عن الجمع الكثير

وليس لقاتل ان يقول ان تعميده المعز قد وقع سرا كما ذكر ذلك مرقس باشا  
في تقويم الحكومه فلم يعلمه إلا الرهبان الذين عمده ولذلك اختصوا بنقله فنرد على  
ذلك بأن المراجع التي أخذ منها مرقس باشا واحتج بها لم تذكر حديث السرية  
بل ذكرت انه لبس زي الرهبان واعتزل الملك ولجأ الى الكنيسة ومات ودفن  
بها ( وما يوم حليلة بسر ) وإنما الذي ذكر السرية هو سعادة الباشا وهذا الذي  
يدعونا الى الظن بأن في المسألة ما هو أكثر من الخطأ إذ لما رأى الباشا الرواية كما  
هي في مراجعها تفقد أول شرط من شروط صدق الخبر حولها الى ما ذكر لتبعضها  
عقلية هذا العصر

الحق ان هذه الرواية دعاية دينية يتدعها الرهبان ليحضوا الناس على المسيحية  
لا أقل ولا أكثر

الامر الثاني — دعواه ان هذه الرواية متواترة منذ مئات السنين . هذا قول  
الباشا وهو الغريب هل يعلم الباشا معنى الخبر المتواتر ؟ وهل يعلم شروطه ؟ وهل  
يعلم ما يفيد الخبر المتواتر من العلم ؟ أظن انه لا يعلم ذلك إذ لو كان يعلمه ما جرؤ

أن يدعى التواتر لهذه الرواية ونحن نذكر له ذلك ليعتقد معنا ان روايته ليست متواترة وإنما هي خير آحاد لهم أغراض وما رُب في اثباته

الخبر المتواتر هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب أي لا بد أن يبلغوا في الكثرة مبلغاً يرى المرء معه ان هؤلاء مع اختلاف أهوالهم وتباين أغراضهم ومشاريعهم ومع كثرتهم لا يمكن أن يتواطؤوا على الكذب فإذا أخبروا بخبر أفاد أخبارهم العلم اليقيني الضروري ومثال ذلك علمنا بوجود مكة فأننا لم نشاهدها وإنما أخبر بوجودها جماعة كثيرة تباينت أغراضهم واختلفت ما رُبهم فلا يصدق العقل أن يتفقوا على الكذب

وقد اشترطوا في الخبر المتواتر أن يخبروا عن علم لا عن ظن وأن يكون علمهم مستنداً الى الحس والمشاهدة وان تكون نقلته في جميع ادواره بهذه الكثرة وعلى هذه الصفات فلو كان الخبر خبر واحد في مبدئه ثم تواتر بعد ذلك لم يكن خبراً متواتراً ولم يند اليقين

فهل يرى الباشا بعد هذا ان رواية تمديد المعز متواترة أظن انه رجع عن هذه الدعوى إذ هو لا يمكنه أن يدعى ان المعز حينما تمد رآه جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وأخبروا بذلك جماعة مثلهم في الكثرة يستحيل تواطؤهم على الكذب وهكذا الى أن وصل الخبر الى سعادته . وكيف يدعى ذلك وهو قد ذكر انه تعتمد سرّاً واذا كان سرّاً ما شاهده جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب فأين الجهر

على ان من اعتمد عليه الباشا قد نقلوا الخبر وصدروه (بقيل) وهي عنوان الضعف الضعف ولم يستطع سعادته إذ كان بعد مراجعته ان يعد إلا اثنين احدهما أخذ عن خادم الكنيسة والثاني قسيس ولو ضعفنا هذين مائة ضعف أو مائتين لجوز العقل تواطؤهم على الكذب لانهم يخدمون غرضاً هو الدعاية الى الكنيسة انى اعتقد ان الباشا اذا طوع الانصاف رجع عن رأيه في الرواية وأعلن ذلك الرجوع وحذفها من التقويم الجديد

محمد عرفه

المدرس بكلية الشريعة

الاسلامية

وفي يوم ١٨ أغسطس سنة ١٩٣١ صدر بلاغ رسمي بان من بين الذين قابلهم دولة صديقي باشا في سراي الوزارة (بيولكلى) رمل الاسكندرية مرقس سمبكية باشا ولم يذع سبب هذه المقابلة ولا ما دار فيها من الحديث غير أن جريدة الاهرام نشرت يوم العشرين من هذا الشهر أي عقب المقابلة كلمة لمرقس باشا بعد ما قرر من أنه نشر كلمته الاخيرة في الموضوع فكانت عودته الي الكلام في موضوع المعز ليس لها من تفسير الا أن حديثهما كان منحصرأ في هذه النقطة واليك ما كتب

## كلمة

من مرقس سمبكية باشا

الى فضيلة الشيخ محمد عرفه وسعادة احمد زكي باشا

ما برح حضرات الذين كتبوا أو يكتبون في موضوع رواية المعز لدين الله الفاطمي يصرون على الدعوة بأني أنا صاحب هذه الرواية وانه لم يكن لها أصل ، في مصادر التاريخ . فلحضر آتهم أكرر ردي بأن هذه الرواية لغيري لاني وقد ذكرت في عدة مؤلفات أوربية وعربية وسواء كان سند الرواية فيها ضعيفا أو غير ضعيف فذلك ليس من شأني ولست مسئولاً عنه . وفي كلمتي التي رددت بها على صديقي البحانة احمد زكي باشا ذكرت على سبيل المثال فقط كتابا لمؤلف أوربي وآخر لمؤلف مصري

كما أنني لم أعد الحقيقة حين قلت ان الرواية يتناقلها الرواة من جيل الى جيل بدليل ان الدكتور بطر سمعها من ٥٠ سنة فلا يجوز في شرعة العدل أن يوجه لي لوم على تقرير حقيقة لا يدلي فيها

هذا عن مصادر الرواية . أما عن موضوعها فقد شاء حضرات الكتاب أن يفهموا من روايتي في التفويم ومما نشرته في جريدة الاهرام الغراء أخيراً اني مسلم بصحة الرواية — وهذا معني لا يستطيع منصف أن يجده في كلامي لا تصرحاً ولا تلميحاً والاصرار عليه يعد قسراً لعبارة بسيطة على تأدية معني غير معناها الواضح الصريح .

أما إذا كانوا يريدون بهذا أن يسمعوا مني بعبارة جلية أي لا أصدق هذه الرواية فيها أنا أقولها غير متردد . وما سمع أحد عنى أو عن غيرى من القبط أننا أقمنا وزنا لرواية كهنه أو جملناها موضوع تصديق لأنها ظاهرة البطلان ولوان واحداً من حضرات الكتاب سألتني رأيي فيها من أول الأمر بدلاً من هذه الحملات الشخصية لكفيتها مؤونة كل هذا العناء .

بقى أني قلت — وأقول ثانيه للذين كتبوا والذين يسخرون للكتابة — أني ما ذكرت هذه الرواية إلا كدليل على تاريخ أثر قديم في الكنيسة . ففي كل بلدان العالم آثار ومعالم قديمة كل منها تعزي أو تلتصق به رواية خرافية أو غير خرافية ولكن هذه الرواية كثيراً ما تساعد رجال الآثار على تعيين الزمن الذي وجد فيه ذلك الأثر ولو بالتقريب . فاذا ذكروها فانما يندكرونها لهذا الغرض وحده دون سواء

مرقس سميكة



## صدقى باشا

يقضى على الرسمية المرفسية

بادعاء تنصر الخليفة المعز لدين الله

نشرت جريدة النفر المقالة الآتية لمكتشف هذه الدسيسة الصحفي القديم وهذا نصها  
انشأت مقالتي الاولى التي نشرتها جريدة النفر الغراء يوم ٥ أغسطس الجاري  
تحت عنوان ( هل تنصر المعز لدين الله الفاطمي الحسيني ، منشيء الجامع الازهر —  
هنا ما يقوله في تقويم الحكومة قبطى متعصب — وهل يليق ان يصدر ذلك عن  
مطبوعات الحكومة الرسمية )

وقد اتيت على تاريخ مرقس سميكة باشا وسوابقه في التعصب ضد المسلمين  
وانه سبى النية في دسه هذه الدسيسة في تقويم رسمي يصدر باسم الحكومة اعتداء  
على خليفة من اعظم خلفاء المسلمين وانه اتخذ صورة جلالة الملك فؤاد المظم في التقويم  
لتأكيد الأهم بأن الخليفة المعز لدين الله تنصر في حياته بعد فتح مصر بجيوشه  
الجرارة وتخطيطه مدينة القاهرة وانشائه الجامع الازهر  
ثم ختمت المقالة بالعبارة الآتية :

هذا بلاغ للناس قد بيناه فخرجنا به من تبعه العلم والسكوت. فعلى المؤرخين  
بل وعلى رجال الازهر الشريف من طلبة وعلما أن يتولوا الامر بأنفسهم لأنهم  
هم الذين يتبؤون ظلًا وارقا مده المعز لدين الله بل هم وحدثهم الذين امتلكوا تراثنا  
تركه للمسلمين منذ نحو الف من السنين ، نعم عليهم أن يدافعوا عن عقيدته التي  
لقى الله عليها والمعروف أنها العقيدة الاسلامية وما شاد المعز هذا الجامع الا لحفظ  
هذا الدين القويم

على الازهر عامة ومشيخة الازهر خاصة والمؤرخين بالخاص أن يسعوا في  
القضاء على هذه الفرية بابادة ذلك التقويم الذي صدر بعد أن مضى من العام الذي  
خصص له سبعة أشهر . وكان مما لا يضر أن تبقى الشهور الخمسة من غير أن يكون  
لها مثل هذا التقويم الاثيم .

والآن فقد بلغت . قالهم اشهد فأنت على كل شيء شهيد . »

نشرت جريدة النور هذه المقالة فهب الغيورون من الكتاب وفي طليعتهم احمد زكي باشا عميد دار العروبة والسيد احمد ماضى أبو العزائم وغيرها كثيرون يؤازرون دعوتى ويؤيدون كلنى فلهم منى أطيب الشاء واجمل المحممة وبالرغم من هذه الملحمة القلمية التي اشركت فيها جرائد الاهرام والسياسة ووادي النيل (بالاسكندرية) ومصر والبلاغ والمقطم فان مرقس سميكة باشا جرى على سنة المبشرين من اشعاله نار الجلال ترويحاً لساكنهم بالمكابرة والعناد والادعاء بان الامر حقيقي ولو لم يكن له مستند الا أقوال خدمة الكنيسة الذين يستجدون الزائرين ويستدرونهم الرغد برواية أغرب القصص الذي يطرب اسماهم وأي طرب يعترى المسيحي خصوصاً اذا كان جاهلاً — من أن يقال له ان خليفة من أعظم خلفاء المسلمين فتح مصر وأنشأ الجامع الازهر تنصر وتعمد في هذه المعمودية . ألا يفرغ كل ما في جيبه من النقود في حجر ذلك الذي يحمل اليه هذه البشارة ؟ استمر مرقس باشا على عناده حتى دعاه الى بولسكي برمل الاسكندرية حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدق باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير المالية المنسوب اليها صدور ذلك التقييم الاثيم .

وما كاد خبر هذه المقابلة يذاع حتى كثر القيل والقال فظن قوم أن مرقس سميكة باشا احتال في الحصول على هذه المقابلة ليوهم الناس أن رئيس الوزارة ووزير المالية راض عن التثويم بعد زيارته « أديار » وادي النظرون واذا كانت تلك الاديار وسكانها لا تعجز عن تعويد الخلفاء والملوك سرأ « فهل تعجز عن تعويد الوزراء ما داموا يعتصمون بالسرية 11

ولكن اليوم ظهر للعيان السرف في مقابلة دولة صدق باشا لمرقس سميكة وانما كانت مقابلة تعلم فيها مرقس سميكة باشا وامثاله درساً جديراً بالاعتبار . تعلم فيها أن الذي يلعب بالنار لابد أن تحرق يديه مهما برع في الحيل والذسائس تعلم مرقس سميكة باشا ان الذي يحاول ايقاظ الفتنة النائمة لابد أن يصب على رأسه الحميم وكل ما في الجمام مما اعد لمن يوقظ الفتنة النائمة ان صدق باشا وزير جدلاً يعرف اللعب واذا كان الدستوو قد قرر أن « الاسلام دين الدولة » فهو ينفذ الدستور بغير هوادة أو تسامح

أخذ مرفس سميكة المدرس وتعلمه جيداً فرجع عن حملة التبشير الخفية ضد الاسلام هزماً شأن كل رعبيد أثار موقعة لا يقوي على الاصطدام فيها، هزم مرفس سميكة فعاد على الأهرام يستغيث قائلاً :

« اذا كانوا يريدون أن يسموا مني بصارة جليلة اني لا أصدق هذه الرواية ( يريد رواية تمهيد المعز سرّاً في معمودية كنيسة أبي سيفين التي أوردتها بقله في تقويم الحكومة ) فيها أنا أقولها ، غير متردد ، وما سمع أحد عني أو عن غيري من القبط ( بالله دع القبط في شأنهم ولا تلصق بهم سخافاتك ) انا أقنا وزناً لرواية كنده أو جعلناها موضوع تصديق لأنها ظاهرة البطلان !!! »

بعد هذا نعلم ان الرؤس الجامعة لا تردها إلا اللجم القوية وان حكومة صديقي باشا ليس مما تروج فيها أسواق السخافات بل انها ترصدها بالشهب والرجوم ، فليعلم من لم يكن يعلم ان الذي لا ترده الملامة عن غيره فله شئ آخر يقرع به .

« »

فيا أيها الروح الحائرة ، روح المعز لدين الله ، روح الجاهد في سبيل الله ارجعي الى ربك راضية مرضية ، فقد أدى واجبه وزير خليفتك على مصر . جلالة فؤاد الاول الذي يجلس من مصر مجلس المعز لدين الله ينشر فيها العدل والامان . فهذا الوزير الحازم قد أزم بسيف حكمت ذلك الباغي أن يقطع يده لسان فريته ارجعي أيها الروح الطاهرة الى مقرك في دار الخلود ، وأنت أيها العظام الشريفة المضطربة في قبرك الكرم اهدي . اطمانى . قري في مكانك . فهذا وزير خليفتك قد أحسن الى سمعتك صنفاً كما أحسنت في حياتك الى المسلمين وللاسلام صنفاً

\*\*\*

أيا السباع يا حامي النصار . ألا من عزمة تبيد بها ذلك التقويم فتجعله طعمة للنار ليعلم الناس في المشرقين ان الحكومة لم تكن راضية عن هذه المسيبة التي أدخلها عليها من أحسنت به الظنون ، وما كل من يحسن به الظن يكون أميناً انه سيقول غداً لقد أكرهت على اعلان ما قلت تقادياً من الوقوف في قصص الآهام . أما صدور تصريح بصادرة التقويم فهو الحق الذي لا يمكن للمبطل أن يأتيه من من بين يديه ولا من خلفه ، أفعل مشكوراً . تكن لك كلنا الحسينين والله عند حسن الثواب

(ح)

وفي يوم ٢١ أغسطس نشر المقطم ما يأتي:

أمر المؤمنين المهزلمين بالله الفاطمي

لحضرة ابراهيم بك جلال القاضي بمحكمة طنطا الاهلية

هو الرابع من خلفاء الفاطميين ولكنه الاول بالديار المصرية .  
 وكان عالماً فاضلاً جواداً حسن السيرة منصفاً الرعية ملماً بعلم النجوم  
 خطب له على منابر الغرب كله من أقصى المغرب الأقصى الى بركة ومصر  
 والشام والحرمين واليمن وبعض العراق وكانت جزيرة صقلية وسيسليا وأقليم جنوي  
 من أملاكه وكان أسطوله ٦٠٠ قطعة بسود البحار  
 وكانت عصبية دولته من قبائل البربر صنهاجة وزناتة ولوانة وكتامة ولكن  
 العنصر الرومي من أبناء صقلية كان ظاهراً بين جنوده وخاصته وعلى رأسهم قائده  
 العظيم جوهر الصقلي

وقد جلس المؤرخون على اختلاف مشاربهم يعددون مناقبه وحسن سياسته  
 وحزمه الذي يفوق حزم المنصور العباسي فقال عنه القريزي ( ج ١٦٤ ص  
 « لقد استدعى المزم في يوم شات عدة من شيوخ كتامة وهم أنصار دولته من  
 البربر فدخلوا عليه في مجالس فرش بالبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله أبواب  
 مفتحة تفضى الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال مخاطبهم ويفصح عن  
 رأيه وسياسته الرشيدة

« يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وأنها  
 الآن تسمع كلامي أترين اخواننا يظنون أنا في هذا اليوم تأكل وتشرب وتقلب  
 في المقتل والدياج الحرير والسمور والمسك والقباء والحجر كما يفعل أرباب الدنيا  
 ثم رأيت أن أفذ اليكم فاحضرتكم لتشاهدوا حالي اذا خلوت دونكم واحتجبت  
 عنكم واني لا أفضلكم في أحوالكم إلا بما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله  
 به من امامتكم واني مشغول بكتب ترد علي من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطي  
 واني لا أشتغل بشئ من ملاذ الدنيا إلا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويندل  
 أعداءكم قاتلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما أفعله ولا تظهروا التكبر والتعجب

فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل اليّ لتعني  
عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعده عن نسايتكم  
والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرها الى التكثر منهن والرغبة عنهن فيتنفص  
عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا ابدانكم وتذهب قوتكم فحسب الرجل الواحد  
الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بابدانكم وعقولكم واعلموا انكم اذا لزمتم  
ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب المغرب لكم »

ومثل هذا المقال من الامام المعز يميّط للناس النقاب عن زهده ويقظته وسهره  
على دولته وحرصه على حياة رجاله ووجه العدل

وبذلك على رسوخ قدمه في الاسلام وكال ثقته بنسبه الشريف ان حريا قامت  
في الحجاز في عهده بين بني عمه امراء مكة من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب  
وبين بني عمهم من سلالة جعفر بن أبي طالب فأصلح المعز بينهم وحمل ديات القتلى  
منهم من ماله وانفذ المال مع وفوده فصارت هذه اليد له عند بني الحسن وكان ذلك  
عام ٣٤٨ هـ فلما فتح جوهر الصقلي مصر بادر الحسن بن جعفر بالدعاء للمعز على منبر  
مكة المكرمة

ومن حسن سياسته انه اذا وثق من اخلاص أحد رجاله وسرته كفايته غمره  
بما لا مزيد عليه من نعمته وأعلن بين الناس رضاه عنه

فقد خرج قائده العظيم جوهر الصقلي وأحسن نشأته فكان قائداً مجرباً حازماً  
موفقاً في البعث مسعود الحركات عظيم الاخلاص لمولاه المعز وامتدت فتوحاته  
الى اقصى المغرب من جانب المحيط وحمل الى مولاه من ماء المحيط سمكة في إناء به  
ماء ليدل على مبلغ ما انتهى اليه النتج

ولما عزم المعز على فتح مصر أعد لها جوهر الصقلي وأمره على « مائة الف  
قارس » واطلق يده في بيوت الاموال وأجمع المؤرخون ان المعز انفق على جيش  
جوهر ٢٤ مليون دينار وهذا بحق هو ذهب المعز وخرج يشيع جوهرأ بنفسه  
وأمر اولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمة  
جوهر وهو راكب . وكذب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن  
يترجلوا مشاة في خدمته

فلما قدم جوهر بركة أراد واليها أن يهديه ٥٠ الف دينار على أن يعفيه من  
ترجله ومشييه في ركابه فأبى جوهر إلا أن يمشي في ركابه كما أمر بذلك مولاه  
المعز ورد الهدية إلى والي بركة

وكان المعز قد أتت مع جوهر قائداً مغربياً يدعى جعفر بن فلاح فانفذه جوهر  
لفتح الشام فلما فتحها شمتخ بأنفه وكان يرى نفسه أجل من جوهر فأرسل البشري  
بفتح الشام إلى المذر رأسا دون أن يعلم جوهر أن فرد إليه المعز كتبه باختامها  
وكتب إليه :-

« قد أخطأت الرأي لنفسك نحن قد انفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب إليه

ولا تتجاوز بعد »

وفتح جوهر مصر للفاطميين مواليه عام ٣٥٨ هـ وبأمر ببناء مدينة القاهرة  
المعمرة الخالدة وهي الباقية إلى اليوم من مدائن الاسلام بمصر ولم يبق الاثاني  
سنوات حتى يحتفل الناس بيلوغها ألف عام  
وبعد أربع سنوات من الفتح قدم المعز مصر مع ابنائه وأهله وعمومته  
وأنصاره .

وصنع المعز شمسية جليلة القدر توضع فوق الكعبة المكرمة فلما أتم صنعها  
نشرها يوم عرفه على أيوان القصر الكبير وكانت سعتها ١٢ شهراً طولاً في مثلها عرضاً  
وأرضها من الدياتج الاحمر وبعالوها ١٢ هلالاً من ذهب في كل هلال اترجة من  
ذهب ملبك وفي جوف كل اترجة دوة كبيرة كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر  
والاصفر والازرق وقد كتب على دائرتها آيات الحج بزمرد اخضر ولما نشرها  
على أيوان القصر كان موضعها عال يراها من في القصر ويراهها الناس من خارج  
القصر وقد نصبها عدة فراشين لثقل وزنها

وقد ابتكر المعز في الجنديية بمصر نظام الفروسية ولعله اقتبسه من فرنسا واسبانيا  
في ذلك العهد فابتنى في شمال القصر الكبير سبع شكنات كبار سموها حجر الصبيان  
كان امتدادها من يسار حارة الجوانية الحالية لغاية باب القصر واختار من ابناء  
الناس الشبان الذين عرفوا بالشهامة وجمال الحلقة وقوة البدن وطول القامة وجمع منهم  
خمسة آلاف شاب وأقام لهم المعلمين يلقنونهم سائر العلوم وفنون القتال واساليب

الطرب وزودهم بأحسن أنواع السلاح واتخذ لهم اصطبلات لحيولهم في الفضاء الذي كان أمام ثكناتهم وكان أولئك الفرسان لا يمارسون القتال على التوالي بل كانوا على غاية الاهبة رهنا لاشارة من القصر وقد خرج من مصافهم كبار قواد الدولة وكان بينهم رجالان قد بلغا الغاية في شدة البأس والشجاعة احدهما ابن فائز والآخر الديلمي وقد عرفت شجاعتهم في كافة الثغور وكان الرجل منهما يأكل الخروف المشوي لفرط مهمه وقد احببها الخلفاء واغدقوا عليهما جوائزهم

وفي ٢٥ أغسطس نشر ما يأتي :

لما قدم القائد الكبير جوهر الصقلي فاتحاً الديار المصرية بادر الى بناء القاهرة لتكون دار الخلافة العظمى فكان تخطيطها يوم الثلاثاء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ وأتم بناءها في ثلاث سنوات فشيّد فيها قصر الخلافة وهو القصر الشرقي ومكانه الآن لخان الخليلي والمشهد الحسيني ممتداً الى الجنوب الى أول شارع الصناديقية بالغورية والى الشمال الى جدار الجامع الاقصر القائم الآن تجاه سبيل السلحدار وكانت مساحتها أول الامر ٣١٥ فداناً وطولها ١٢٠٠ متر وعرضها ١١٠٠ متر وكانت مساحة القصر خمس مساحة المدينة ثم بنى الجامع الازهر الى جنوب القصر وبينهما رحبة عظيمة وطوق المدينة بسور عظيم وأقام شمالها خندقين متجاورين عرض كل واحد عشرة أذرع وعمقه كذلك وصار الخندق بعد ذلك ضاحية للقاهرة وهي عزبة الدمرداش المعروفة واتخذ في السور عدة أبراب وشيّد نحو عشرين حارة للأمرء والجنود الذين في خدمة الخلافة .

ودخل المعز مدينة القاهرة يوم الثلاثاء ٧ رمضان سنة ٣٦٢ بين عشائه وجنوده وشيعته العظيمة وكان دخوله من باب زويلة وهو غير الباب الذي نراه اليوم (باب المتولي) فان ذلك الباب كان الى الشمال من الباب الحالي ومكانه ملاصق لسبيل العقادين الذي على باب حارة الروم — فلما مضى من عمر الدولة مئة عام قام وزيرها أمير الجيوش بدر الجمالي فزاد في امتداد القاهرة الى الشمال والى

الجنوب وبني باب زويلة وبني بابي النصر والفتوح الحاليين حتى أصبحت مساحتها  
٤٠٠ فدان

وكانت قبيلة زويلة المغربية في ركاب المعز عند دخوله القاهرة ولذلك سمي الباب  
الذي دخل منه باسم تلك القبيلة كما سمي الباب الغربي للمدينة باسم بن حبان الصقلي  
وهو القائد الذي دخل بجنوده منه وإلى الآن يسمى أثره درب سواده أما مكانه  
ففي البناء الذي فيه محافظة القاهرة الآن

وكان قصر الخلافة قد بلغ الغاية في الجمال والزخرف فلما بلغه المعز خر ساجداً  
لله وصلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه

وقال المؤرخون في وصف الأيران الكبير أنه فاق في سعته ورواقه قصر الخلد  
الذي للرشد ببغداد فقد كان ينصب فيه السماط في المواسم والاعياد وطول السماط  
٣٠٠ ذراع وعرضه ٧ أزرع فكم كان طول هذا الأيران العظيم ولو علمت أن  
ذلك الأيران على سعته البالغة وعاهه الباذخ كان يزین باستار الديباج المذهب  
وبسط الحرير الموشي وأن ما يفرش فيه صيفا غير ما يفرش فيه شتاء لاحظت بعض  
ما بلغت تلك الدولة المصرية من الجاه والثروة والنعمة

وقد جعل المعز مدينة القاهرة ذات حرمة وتقديس فلا يجوز سكنها لغير  
الخليفة وأهله وجنوده الخاصة وكانت مدينة التسطاط أو كما كانت تسمى ( مدينة  
مصر ) هي العاصمة التجارية والاجتماعية ترد إليها البضائع وتصدر عنها وفيها مقر  
الاعيان وارباب الثروة ورجال العلوم والصنائع والحرف وكانت الثروة عظيمة والتجارة  
واسعة بسبب اتساع ملك الفاطميين كما كان الرخاء بالغامداه فقد بيع أيام المعز كل  
خمس ارادب بدينار

وكان الشارع الممتد من شمال القاهرة الى جنوبها من باب الفتوح وباب زويلة  
يسمى قسبة القاهرة وكانت تلك القسبة ذات حرمة وافرة وهيبة مستمدة من هيبة  
الخلافة فكان رسل ملوك الروم اذا بلغوا باب الفتوح نزلوا عن دوابهم وساروا  
الى القصر سعياً على الاقدام وكانوا يقبلون الارض طول الطريق  
وكان لباب الفتوح بالذات حرمة كبيرة فاذا غضب الخليفة على احد من

الناس تراه قد خرج الى باب الفتوح وكشف رأسه واستغاث بعفو أمير المؤمنين حتى يؤذن له بالسير الى القصر

وكان لا يجوز ان يمر بقصبة القاهرة فارس يسوق فرسه ولا يمر بها حمل تبن ولا حمل حطب ولا يمر به سقاء الا وداويته مغطاة

وكان ارباب الحوانيت بالقصبة يعدون عند كل حانوت زيراً مملوءاً بالماء مخافة الحريق ويوقدون على الحوانيت القناديل طول الليل فتضيء الى الصباح بل كانت كل دروب القاهرة وسككها وشوارعها وحوانيتها ودورها منارة ليلاً فكانت تسير من القاهرة الى القسطنطينية في أنوار ساطعة

وكان أطول الشوارع الشارع المار من رأس الحسينية الى بوابة السيدة نفيسة وكان طوله ٤٦٠٠ متر وفيه ١٢٠٠٠ حانوت للتجارة وقد كان يضاء ليلاً وهذا غاية ما بلغ اليه الترف والمدنية والجاه بدول العالم

وكانوا قد أعدوا الكناسين يكنسون شوارع القاهرة وبرشونها كل يوم ويقطعون ما تجمد على الأرض من التراب حتى لا يعاير أرض الشوارع عن المستوى الطبيعي وكان الخليفة اذا تحرك موكباً للصلاة بالمسجد كنسوا الرحاب الفسيحة وفرشوا بها الرمل الأصفر

وقد زار القاهرة ساحح فارسي يدعى الناصر خسرو وذلك بعد بنائها بخمسين عاماً فقال عنها « انه قل ان يجد لها شبيهاً في مدن العالم وأغلب دورها من خمس طبقات أوسط ولحسن الصناعة واتقانها يظن الناس انها بنيت من الحجارة الكريمة .

فلما زال ملك الفاطميين عن مصر صارت القاهرة مدينة سكني للجمهور الناس بعد ان كانت للخليفة وخواصه فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام

وكان المعز من المعجبين بالشعر والادب يصل الشعراء ويجزل لهم الصلوات وكان شاعره الفحل ابن هانيء الاندلسي فقد كان في منزلة المنبي وجاء بالدرر الغوالي من المديح والثناء على المعز وعراقة نسبه ولكن هذا الشاعر العظيم قتل قبل دخول المعز الى مصر فاشتد أسفه عليه وقال لقد كنت أرجو أن أنافس به شعراء المشرق .

وكان المعز حريصاً على تمييزة آلة الحرب ذات الاثر التاريخي فجمع في خزائن  
سلاحه سيف جده علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ويدي ذا الفقار وضم اليه  
الصمصامة وهو سيف عمرو بن معدى كرب ابيدي وسيف جده الحسين بن علي  
ابن ابي طالب ودرعه ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف كافور الاخشيدى واشتد  
وامه باثار الخلفاء العباسيين كأنه كان يحدث نفسه بأنه وارث ملكهم وهذا هو  
الذي افهم صدور العباسيين حتماً وكرهية

فجمع المعز بين ذخائره أكثر من مئة ص كاس ثمينة نقش عليها اسم هارون  
الرشيد وغيره من ملوك العباسيين وحاز المضرب الحرير الاسود الذي مات به  
هارون الرشيد بمدينة طوس وسرادق من الحرير الاحمر منسوج بالذهب كانت  
للخليفة المتوكل العباسى وجمع الى ذلك تلك الحصير الثمينة المنسوجة بالذهب والؤلؤ  
وهي التي جلبت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على الخليفة المأمون العباسى

وكان أكبرهم المعز أن بروى غلة العلم والادب وهي سليقته فبنى بالتصر  
أربعين خزانة للكتب جمع بها زهاء مئتي ألف مجلد فيها كتب الفقه على جميع  
المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتاريخ وسير الملوك وعلوم النجوم  
والروحانيات والكيمياء والطب والمساحف الكريمة وبقايا الخطوط المنسوبة لكبار  
الخطاطين وقد أجمع المؤرخون على أن دار الكتب الفاطمية كانت من عجائب  
الدنيا ولم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم منها

وقد صنع المعز أطلساً في الجغرافيا من الحرير الازرق المنسوج بالذهب وسائر  
الوان الحرير بين فيه أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأماها ومسالكها  
وخطط به مكة والمدينة وكتب أسماء المدن والجبال والبحار بالذهب أو الفضة أو  
الحرير وذيل الأطلس بما يأتي : —

أمر بعمله المعز لدين الله شوقاً الى حرم الله وأشهاداً لمعلم رسول الله في سنة  
٢٥٣ هـ والنفقة عليه (٢٢ ألف دينار)

وصارت القاهرة من عهد المعز حاضرة الاسلام الكبرى كل أيام الفواطم الى  
ان دالت دولتهم عام ٥٦٧ هجرية

ابراهيم جلال

تصريح فضيلة الاستاذ امركبر

شيخ الجامع الازهر

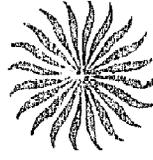
وفي ٢١ أغسطس تاتي حضرة الاستاذ الفاضل احمد عبد الحليم العسكري أحد  
محرري الاهرام من حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ الاحمدى  
الظواهرى شيخ المعهد الدينية التصريح الآتى

السؤال — واسطورة تنصر المعز لدين الله يامولانا . فهل بلغ الى مسامح  
فضيلتكم تلك الضمجة التي اقيمت بشأنها وهل من الانصاف أن يقال عن المعز لدين الله  
مؤسس الازهر انه تنصر فى احدى الكنائس ؟

الجواب — نعم سمعت بها وعنيت بموضوعها كل العناية لان المعز لدين الله  
عظيم من عظماء التاريخ الاسلامى وكان من آثاره بناء الجامع الازهر وهذه الاسطورة  
لا أساس لها من الصحة . وقد دهش الناس حينما علموا انه ورد فى التقويم الذى  
نشرته المطبعة الاميرية عند الكلام عن كنيسة أبى سيفين « ان بجانبها كنيسة يقال  
ان الملك المعز لدين الله قد تعمد فيها سرأ » أقول دهش الناس لمثل هذا ، وذلك  
لان لهذا التقويم صبغة رسمية يجب أن ينزه معها عن مثل هذه الاسطورة التي تضاد  
الواقع وتمس العواطف الاسلامية . واذا كان قد فات القارئين بأمر هذا التقويم  
ملاحظة ذلك فقد سرثني ان حضرة مدير المطبعة قد كتب فى صدره « انه رغبنا من  
بذل العناية فى جمع هذا التقويم لا يزال يحتاج الى معونة كل من يطلع عليه فيرشدنا  
الى نقص أو خطأ وقع فيه أو الى اقتراح يزيد معه فائدته » ولذلك أرجو أن يبادر  
الى تدارك هذا الخطأ فى اقرب وقت

وانى لأعتقد أن حكومة جلالة مولانا الملك حفظه الله للدين والبلاد والعباد  
تعمل دائماً على كل ما يصون الحقائق التاريخية والعواطف الاسلامية وأنها وعلى  
رأسها حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا الحازم الحكيم تعمل دائماً على  
تحقيق رغبات جلالة مولانا الملك فيما يتعلق بالشؤون الدينية والعلمية والخلفية  
والاقتصادية وعلى توفير اسباب السعادة والهناء لهذه الامة الكريمة التي قابلت نبأ  
عدول حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك عن السفر للاستشفاة ايناراً لمصالحها

على صحته الغالية المغداة بعظيم الابتهاج والشكر والضرارة الى الله سبحانه وتعالى  
أن يقيه محروسا بعنايته الصمدانية ممتعا باوفر انواع الصحة والهناء، قرير العين بسمو  
ولي عهدہ



o b e i k a n a l . c o m

ونشرت جريدة البلاغ ما يأتي :

المعز لم يرض الله الفاطمي

للدكتور حسن ابراهيم حسن

أستاذ التاريخ بكلية الآداب

كثرت الكلام في هذه الايام حول المعز لدين الله الفاطمي وظن البعض انه اعتنق النصرانية بعد هجئته الى مصر في سنة ١٠٦٢ هـ . وظل على نصرانيه الى ان مات في سنة ٣٦٥ هـ . وقد تصدي للرد على هذا القول حضرة صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا وحضرة القاضي الفاضل الاستاذ ابراهيم جلال . كما ورد لهذا الموضوع ذكر في حديث حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر المنشور بجريدة الاهرام الصادرة في ٢١ أغسطس الجاري :

لهذا رأيت من واجبي ، كأحد المشتغلين بالتاريخ الاسلامي . أن أقول كلمتي في هذا الموضوع ، متباحثيا ذكر ما يتعلق بحياة المعز السياسية والادارية . ولقد كفتنا حضرة الاستاذ ابراهيم جلال مؤونة ايراد نص الخطبة التي القاها المعز على رؤساء كتامة في مدينة المنصورة حاضرة ملكه في بلاد المغرب وهذه الخطبة لا تترك مجالاً للشك في مبلغ زهد المعز ، ففيها تبين السياسة التي جرى عليها المعز . إذ قد أوضح فيها لاتباعه عيشة الزهد والتقشف التي يمشيها ، فبين لهم انه خصص همه لبأوغ غاية واحدة . هي نشر نفوذه الديني والزمني في المشرق ( واني لا أفضلكم في احوالكم الا فيما لا بد لي منه من دنياكم ، وبما خصني الله به من امانتكم . واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما صان ارواحكم ، وعمر بلادكم ، وأذل أعداءكم . وقع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلداتكم مثل ما أفعله ... الخ )

وان العهد الذي قطعه جوهر على نفسه ، بصفته قائد الخليفة المعز ونائبه في مصر ليعطينا صورة صادقة للسياسة التي عول الفاطميون على مهجها من الوجهتين السياسية والدينية في مصر خاصة والشرق عامة . ويجمل بنا أن ننقل شيئاً عن هذا

العهد عن المقرئ في كتابه اتعاظ « الخلفاء بأخبار الخلفاء » ( ص ٦٧ — ٧٠ )  
 عساه يبين للقارئ مبلغ تدين المعز وقائده ، ومحافظتهما على الشعائر الدينية  
 الاسلامية . يقول المقرئ « فعاجله ( أي عاجل عدوهم القرامطة والبيزنطيين )  
 مولانا وسيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه باخراج العساكر المنصورة ، وباداره  
 بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم ، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق  
 التي عنهم الخزي وشملتهم الذلة . . . وآثر اقامة الحج الذي تعطل ، وأهل العباد  
 فروضه وحقوقه لخوف استولى عليهم . . . وان أجبركم في الموارث على كتاب الله  
 وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال  
 من غير وصية من المتوفى بها ، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال . وأن أتعلم في رم  
 مساجدكم وتزينها بالفرش والايقاد . وان أعطي مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس  
 فيها أرزافهم . . . وان تركوا على ما كنتم عليه من اداء المفروض في العلم والاجتماع  
 عليه في جوامعكم ومساجدكم . وثباتكم على ما كان عليه سلف الامة من الصحابة  
 رضي الله عنهم . والتابعين بعدهم . وفقهاء الامصار الذين جرت الاحكام بمذاهبهم  
 وفتواهم . وان يجري الاذان والصلوة وصيام شهر رمضان وفطره وقيام ليليه .  
 والزكاة والحج والجهاد على ما أمر الله في كتابه . ونصه نبيه صلى الله عليه وسلم في  
 سنته وأجرى اهل الذمة على ما كانوا عليه .

فهذا العهد بكشف لنا السياسة التي سار عليها المعز ومن أتى بعده من الخلفاء  
 الفاطميين ، وهي سياسة قوامها المحافظة على الشعائر الدينية . وتدعيم الاسلام .

\*\*\*

ويحدثنا ابن خلكان ( وفيات الاعيان ٢ ص ١٣٤ ) ان المعز عند ما دخل  
 الاسكندرية في ٢٣ شعبان سنة ٣٦٢ . قدم عليه اعيان البلاد ، فخطبهم خطبة طويلة ،  
 أخبرهم فيها انه لم يرد دخول مصر لزيادة في ملكه ولا مال . وانما أراد اقامة الحق  
 وحماية الحجاج واعلان الجهاد ضد الكفار وأن يفتح حياته بالاعمال الصالحة ، ويعمل بما  
 أمر به جده صلى الله عليه وسلم . ووعظهم وأطال في الوعظ حتى استدر دموع  
 بعض الحاضرين

وهذا يدل على أن الفتوح التي قام بها المعز ، كان الغرض الاول منها الجهاد

ضد الكفار ، وهم في نظره البيزنطيون المسيحيون الذين هددوا بلاد الشام التي كانت تابعة لمصر في ذلك الحين ، وكذا غيرها من البلاد الاسلامية .

فاذا كان المعز ينشد التترب الى الله سبحانه وتعالى عن طريق الجهاد ضد هؤلاء البيزنطيين ، فكيف يعقل اذاً أن يتحول عن دينه مع تصريحه في خطبته انه أراد بجهاده اقتفاء أثر جده محمد صلى الله عليه وسلم ، مؤسس دعائم الدين الاسلامي ولسنا نشك في صادق رواية ابن خلكان لتعصبه للمذهب السني الذي يخالف المذهب الشيعي مذهب الخلفاء الفاطميين .

ويحدثنا ابن خلكان ( ج ٢ ص ١٣٢ ) في موضع آخر ان المعز لما وصل القاهرة ودخل القصر الذي بناه له جوهر وصار في احدى ردهاته ، خر ساجداً لله تعالى ثم صلى ركعتين . ومن ذلك وغيره ترى شدة تمسك المعز بالاسلام ، وحرصه على انتشار سلطان الدين ونفوذه .

فاذا كان المعز يعتقد ان مصر بلاد اسلامية يتمسك السواد الأعظم من أهلها بالمذهب السني المخالف لمذهب الفاطميين ، فكيف يتصور أن يطرح الدين الاسلامي الذي نشأ عليه ، وجاهد في سبيل اعلاء شأنه وفتح مافتحه من البلاد باسمه ، وبقي خليفة مسلماً قبل مجيئه الى مصر زهاء احدى وعشرين سنة — كيف يصح في الاذهان انه يتحول عن الاسلام كلية . الى دين لا يدين به الا اقلية قليلة من المصريين ، وهو في أوائل عهد خلافته في مصر التي ظل يدأب على اقرار النظام فيها ، سيما اذا علمنا أن أكثر المصريين كانوا — كما ذكرنا — يدينون بالمذهب السني ، وينظرون الى الشيعيين والمعز على رأسهم نظر البغضاء والكراهة ؟ واذا كان المعز نصرانياً — ولو في الباطن — فلا ينتظر منه أن يعمر المساجد ، وينشيء الجامع الازهر العظيم ، وأن تضرب السكة باسمه ، ويشيد فيها بالاسلام وبالنبي وعلي ابن أبي طالب وأولاده من بعده ، فينقش عليها « لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ارسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . والصلاة على افضل الوصيين ، وزير خير المرسلين » ؟

\*\*\*

ويقول المؤرخ المصري الحسن بن ابراهيم بن زولاق المتوفي سنة ٣٨٧ هـ .

والذى عاصر المعز لدين الله ، ان المعز ابطل اقامة الاحتفال بعيد النوروز ، واصلب كل من لم يخضع لهذا الامر . ونحن ننقل قول ابن زولاق للقاري : « ثم لما تولى المعز مصر ، منع القبط من صب المياه في يوم النوروز في الطرقات ، ووقود النار ( في تلك الليلة ) ومن النزول في المراكب . وضرب الخيام على شاطئ البحر ( يعنى النيل ) عند المقياس ، لانه كانت تحصل بسبب ذلك مفساد عظيمة ، فابطل ( ذلك جميعه ، ونادى ان كل من يفعل ذلك يصلب ، ( المكتبة الاهلية بباريس . مخطوط ١٨١٧ ورقة ١٤٨ )

فاذا كان المعز قد تنصر ، أفلا يكون من المنتظر أن يفض الطرف عما يحدث من الاضطراب في ذلك اليوم ؟ هذا إذا علمنا أن غيره من الخلفاء الفاطميين قد سمحوا بالاحتفال بهذا العيد وغيره من أعياد النصارى . كيوم الفطاس ويوم الميلاد وعيد النصر وخميس العهد ، فقد ابقوا عليها مشاركة للاقباط في شعورهم الدينى ، كما كانت الحكومة الفاطمية توزع الهدايا في هذه الاعياد على كبار رجال الدولة وان اسناد الفاطميين بعض المناصب الكبرى للاكفاء من أهل الذمة قد يحمل البعض على الظن بان المعز — أو غيره من الخلفاء الفاطميين قد خرج على الاسلام ودان بالنصرانية . وهذا الظن مصدره بعض الكتب الكنسية ليس غير ، أو مظاهر العطف التي كان يحوط بها الفاطميون المصريين من أهل الذمة وليس هناك شك في أن الفاطميين قد بالغوا في معاملة أهل الذمة ، فقلدهم الاعمال الكتابية والحسابية والتحرير في ديوان الخليفة ، حتى بلغوا المناصب العالية كالوزارة . وهنا يقول بحق الدكتور أوليردي دي ليس في كتابه « موجز عن تاريخ الخلافة الفاطمية » ( ص ١١٤ )

A SHORT HISTORY OF THE ATIMID FAT , P 114

ولو ان استخدام النصارى واليهود في الوظائف المدنية هو عرف شائع قليلا أو كثيراً في البلاد الاسلامية ، فقد بالغ الفاطميون انفسهم في استعماله أكثر مما جرت به العادة من قبل «

وعلى الجملة فقد كان الفاطميون يعاملون النصارى واليهود معاملة تنطوى على العطف والتسامح وعاملوا ابناء هاتين الطائفتين غير مرة معاملة تتجلى فيها المحابة

ومراعاة خواطرهم ، حتى قلدوهم أرقى المناصب واعلاها في عهد الخليفة العزيز ( ٣٦٥ — ٣٨٦ هـ ) ابن المفزوشفلوا في عهد المستنصر ( ٤٢٧ — ٤٨٧ هـ ) ومن جاء بعده من الخلفاء معظم الوظائف المالية في الدولة . بل تقلدوا الوزارة أيضا . وتمتعوا بقسط وافر من سياسة التسامح الديني . يشهد بذلك ما كان من بناء عدد من الكنائس أو من اعادتها الى ما كانت عليه من قبل .

ولم تقتصر هذه المعاملة على ما تقدم ، فقد أولع بعض الخلفاء الفاطميين بزيادة اديرة النصارى وكان الأمر يعطى الرهبان في دير نهبيا الواقع بالقرب من الجزيرة عشرة آلاف درهم كلما خرج للصيد بالقرب من هذا الدير ، ويحدثنا أبو صالح الارمنى النصرانى المتوفى سنة ٦٠٩ هـ . والذي زار مصر بعد انقضاء الدولة الفاطمية بقليل في كتابه « كتاب ديارات مصر » أن موارد الكنيسة المصرية زادت زيادة تذكر في عهد الفاطميين .

اتتهى

## فهرست

صفحة	كتاب الخليفة المعز لدين الله الفاطمي
٢	خطبة الكتاب
٣	المقدمة في تاريخ المعز لدين الله بقلم الصحافي القديم (ح)
٦	فتح فاس . فتح مصر
٧	بناء القاهرة . امتلاكه دمشق وبلاد الشام . فتح الرملة . طبريا مسألة . دمشق تقابل الفتنة
١٠	قدوم المعز لدين الله الى مصر
١١	المعز لدين الله يحارب القرامطة . ناريسخ القرامطة
١٤	في دمشق . جنود ابي محمود
١٦	موت المعز لدين الله
١٨	هل تنصر المعز لدين الله . المقالة الاولى للصحافي القديم (ح) في جريدة الثغر
٢٣	أ كذوبة مرقس باشا . المقالة الاولى لسعادة زكي باشا بجريدة الاهرام
٢٩	الرد على صديقي . المقالة الاولى لمرقس باشا بالاهرام
٣١	مقالة احمد زكي باشا الثانية . بالاهرام
٣٧	اتهم مؤسس الازهر بالتنصر . مقالة جريدة السياسة
٤١	اسطورة تنصر المعز لدين الله . مقالة الاستاذ عنان بجريدة السياسة
٥٢	حول اسطورة المعز لدين الله . لفضيلة الاستاذ أبو العزائم بجريدة وادي النيل
٥٥	كلمة أخيرة . لمرقس سميكة باشا بالاهرام
٥٧	المعز لدين الله . للاستاذ عرفه بالاهرام
٦١	كلمة من مرقس سميكة باشا بالاهرام
٦٣	صدق باشا يقضي على الدسيمة المرقسية للصحفي القديم (ح) بجريدة الثغر
٦٦	أمير المؤمنين المعز لدين الله . لابراهيم بك جلال . بجريدة المقلم
٦٩	المقالة الثانية له أيضا
٧٣	تصريح فضيلة شيخ الجامع الازهر بالاهرام
٧٥	المعز لدين الله الفاطمي . للدكتور حسن ابراهيم حسن بجريدة البلاغ